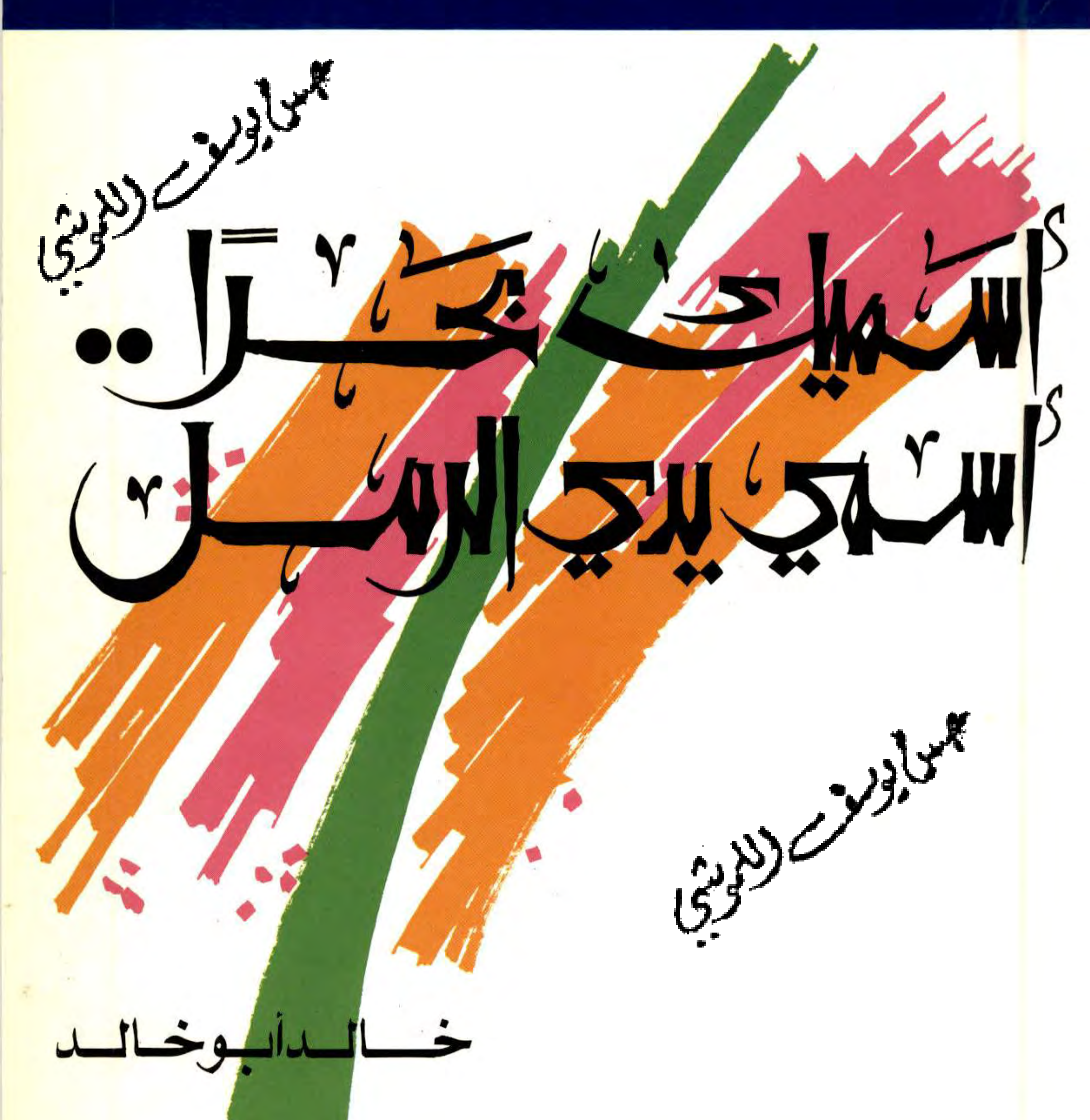
سلسلة إبداع 3

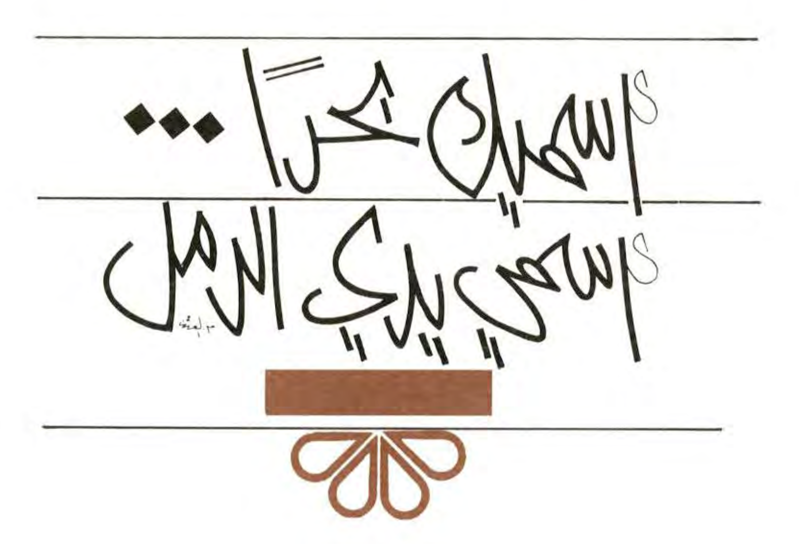


اسميك بحراً اسمي يدي الرمل

خالد أبو خالد

منشورات المجلس القومي للثقافة العربية


أسميك بحراً
أسمي يدي الرمل




خالد أبو خالد



اسميك بحراً .. أسمي يدى الرمل
شعر خالد أبو خالد
منشورات المجلس القومي للثقافة العربية ـ
الرباط ـ المغرب
سلسلة إبداع [3]
الطبعة الأولى 1991م
الجمع التصويري والطباعة: شركة إنترجراف ـ
روما ـ إيطاليا
الإخراج الفني: م. محمد العتر




أسميك بحراً..
أسمي يدي الرمل

بيروت 78





1

بيروت 78

.. وحيدا .. تسافرْ
وحيدا .. تعودْ
وحيدا .. تنامْ
وحيدا .. تموتْ

وبيروت مثقلة القلب مثلي ..
ومقفلة دون حلمي ..
تصادر من رحلة العمرِ
تبقى معلقة في جدائل حبر المطابع .. والاسئلة
وفي باقة من زهورٍ
وملصقها .. لا يقولْ :
ترد الى بعضها
وتركب في لعبة .. تتسلى على دمها .. في السقوطِ
وتنهض من دمها .. في القنوطِ
لأن السماء التي فوقها
والروابي على قربها
والسهوب التي بعدها
والمدائن من حولها .. حجبتها الزيوتْ

وألغامها انفجرت في مواقيتها
بين طفل .. وحرشٍ
فتلهث في صدرها الربو .. والعنكبوتْ

وبيروتُ
في قلبها .. جمرة من ندى ..
وزنابق .. من شجر مشرقٍ
من نخيل .. وتوتْ
وشمع حزين .. كمستقبل غامض .. لا يحدّ
ومشتعل عسلا .. ومراثي نحاسيةً
ويشكلّ أحزانه في الحديدْ ...
ويوغل في شارع من بريدٍ
يراكم أخباره .. في خراب المسافةِ
بين المقاهي .. وبين الرؤوس التي امتلأت بالصديدِ
وتمتد عيني الى زمن مغرق في الأفول

ـ أنشهد هذا ونمضي؟
وتمضي بنا دهشة .. لا تزولْ؟
ـ وأينَ
الدوائر متعبةٌ ..
والتردي ..
وها نحن في فصلنا .. جاوزتنا الفصولْ

ـ وماذا ترى بين كفي .. وشاراتها ...؟
ـ هامشا واسعا .. عسكرت فيه قواتهمْ
والهواء الدخيلُ
وأعشاشهم فقست بيضها
ثم ...
وأختلط الطير بالطيرِ

أي الطيور التي نحن؟
أو أيهم ..
دلني .. دلني .. يا حبيبي الذي ضاع مني ـ
ـ وأشهدْ
أن التي متأخرة ولدتْ
متأخرة جاءت اليكَ
ومبكرة ترحلْ
مسربلة بدمها
لا يشيعها أي من الذين تفيأوا شعرها .. أو تدفأوا بنهديها
أو تقنعوا بوجهها .. أو زينوا بها صدورهم في الاستعراض الأولِ
والاستعراض الاخيرْ .. ـ
ـ وهذا الصباح الرمادي .. وردٌ
وبردٌ
وأنت تشيع جثمانك الآنَ
والوقت من ذهب .. وقلوعْ
ومن قهوة مرةٍ
ووقوف على قبلة .. وولوعْ
وانحدار على ورق لامع .. وخيوطٍ
وبيت يشاد على الرملِ
بيتنا من اللغوِ
واللهوِ
من عطش جاهلي .. ووجه ذليلٍ
هو الوقت .. مائدة من بيوتٍ
ومائدة في البيوتْ ..
وأنت تحملق في غربةٍ
مرة في رماد المكان الذي خلَّف القصفُ
أخرى تعض رماد السنينْ

وتحزن من غضبٍ

يا صديقي الذي كان من عطبٍ
وملامح من خشبٍ
احتفلْ .. اذ تموتُ
ولوّح : وداعاً
ـ وداعاً .. لانك من كذبة صدقت نفسها
وارتدتني
فكذبتها .. واحترقتُ على نجمةٍ
قل وداعاً
فقلبي يوزع فضته .. ويجوعْ
ـ وأشهدُ
أن الطائر الصعب .. الذي اقتحم عينّي تلك الليلة .. كضيف جاء وكضيف مضى
وأنه اختطف العتمة منهما في ايقاع سريع ٍ .. وفرّخ مكانها شموساً .. أو صحارى
وفضاء بلا حدودٍ .. وفجيعة لا تتوقف عن الصمتِ .. ولا تطلق الصوتَ .. أو تبلغ
الموتَ
وأشهدُ
أن لا شيء حولك .. لا شيء .. غير العوسج .. وغير البرزخ الموقوت .. والظلِّ
الذي بلا ظلْ
وأشهد أن شجر الصبار النامي في جهاتك .. الآن يملؤك .. والان يحتويكَ ..
وأنك تفجر الارض من سفح «ميثلون» الى الوطن المتصحرّ بين محيطين .. والعالم ..ـ
أنت الجسور التي نسفوا
والقرى
أنت منتشر في الصدى
في الندى
والحجرْ
أنت أضرحة لا تهاجر من حلمها
وتقاتل أعداءها .. بالقمرْ
أرح رأسك الآن من فكرة لا تضيء ..
فلا شيء غير الزمان البطيء
ولا تنتظرْ

فالجناح الذي مرّ .. ليس الجناح الذي قد يجيءُ ..

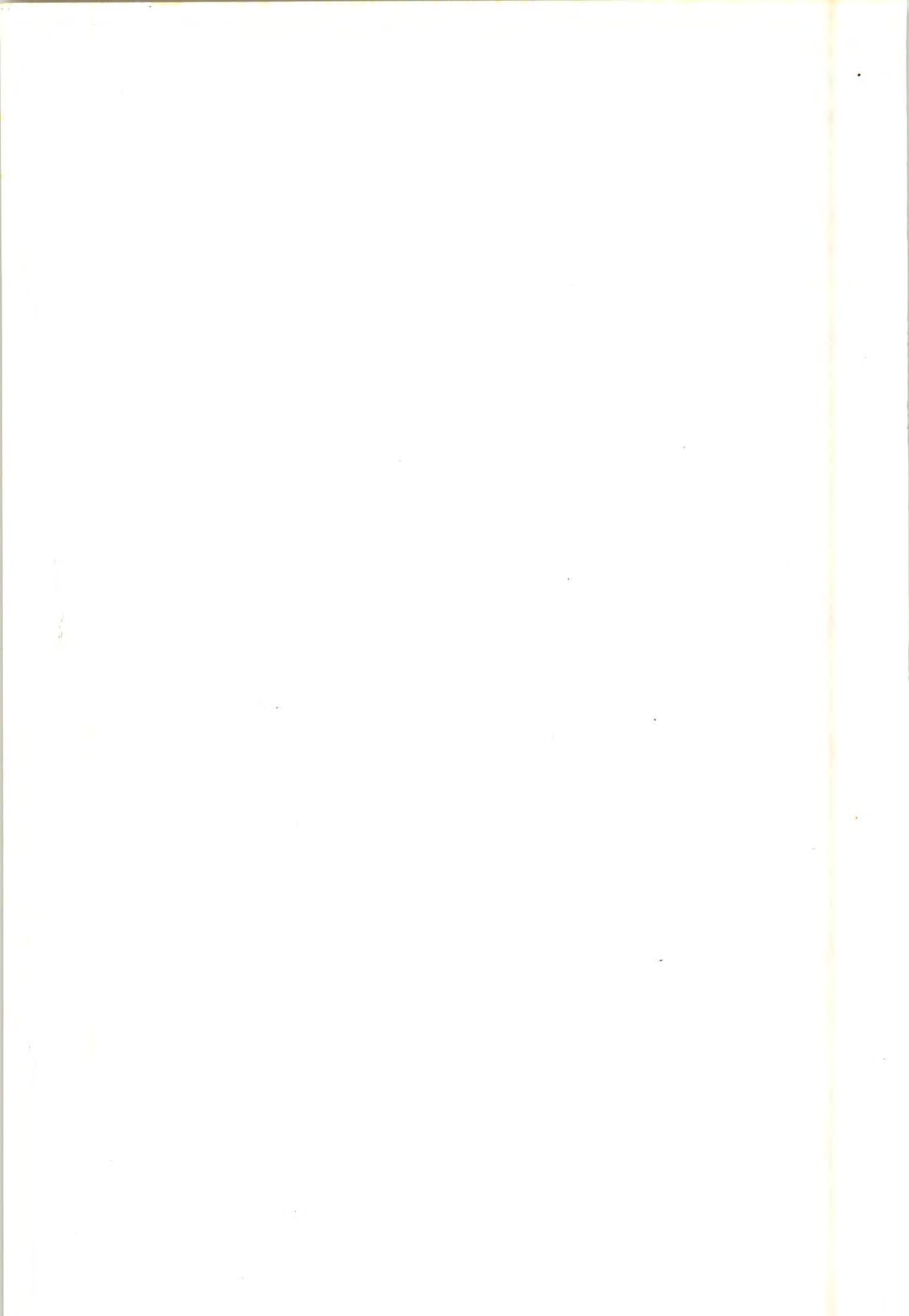
وغادر دواركَ
غادر قصائدنا ـ كائنا ـ وانفجر بشراً
فالدروب الى صفد ... مغلقة
وتمر برمانة نضجت بين بحرين
هذا الذي يمنعونك
أو يهدرونك .. متّحدين علانيةً .. وطني ..
وهذا الذي في سواد عيونك .. والقمعِ
ـ يا وطني
وعليك السلامْ
عليك الحروبُ
وعبء الذي احترف القتل فيكَ
ومنك الهروب
فحيفا الطريق اليكَ
وأنت اليها الدروبْ
ـ وأشهد ...
أن العلاقة قائمة في جنين التوقع بين الشرق وبين الغروبِ

وأنت .. الوقائع تكتبك الآن سراً
بزيت .. وماءْ
ونافورة من دماءْ
ترجل اذ أيها العربيُّ
وواصل خلاصك في لحمنا
ستكون .. اذا كنت .. أو لا تكونُ
ترجل بنا .. غابة .. ورجالاً
ترجل والا
سينهشك الطير من حزننا السرمديِّ
وكن قمرا شاسعا كالسماءْ

وكن ما نشاءْ
فان الجرار التي طفحت ... طفحتْ
والصبايا ... تحجَّرنَ
واتسع الليل حتى غدا خيمة من خواءْ



بيروت 1978




أسميك بحراً..
أسمي يدي الرمل

الى محمود درويش
بعد قصيدته المتنبي

حوار خاطف
مع فتى فلسطين

2

2

حوار خاطف مع فتى فلسطين

الى محمود درويش
بعد قصيدته المتنبي

ننتهي يا فتى
حيث لا وقت للحبِّ
أو للسفرْ
ننتهي .. حيث سهل من الحزن يبقى
ونهر من الحزن يبقى
ولا شيء بعد .. سيبقى .. سوى
ميجانا
ميجانا
يا عذاب الجبالِ
الرجال القريبين ليلاً
إليها
نشد الدم .. البحر .. والريحَ
والجمر في القلبِ
والجرح في العمرِ
لا ننتهي يا فتى
ننتهي
حيث لا وقت للوردِ
أو للحجرْ

عرسنا
والترابُ
يضيعان في كأس ماء من البحرِ
ان الذي يستعير براجمنا
الآن يرمي بها للكلاب
وللجائحة
نتهي .. حيث لا نتهي
صداً
ورقٌ
رائحة

مرحبا .. إذ تجيء لنفتح الليلة الذاكرة
هذه شمسنا واحدة
أرضنا
برتقالتنا واحدة
طلقة واحدة
والفضاء الفسيح بنا ضيق حولنا
ضيق يا فتى
فاكتئب في المكانِ
ابتسم في الزمانْ
ننتهي .. حيث لا ننتهي يا فتى
امطرت غيمة في الكلامْ
ههنا فاصل ننتهي عنده
ننتهي بعده
نلتقي
حيث لا ننتهي
ننتهي في المدار البوارْ

والنهار دم وارف

مدرك بعضه
واحداً ..
واحداً ..
عشرةً
خيمةً
مهجراً
معبراً
والصغارْ
والمسير انتظارْ
ننتهي يا فتى
حيث لا وقت للسيفِ
أو للشجرْ

مرة كأسنا .. خدعةٌ
كأسنا ..
هل ترى أنت مثلي صداقتنا العابرة
والحوار الذي بيننا
تعب .. واحتضارْ
هذه حربة وزعت نفسها بيننا
كسرةً
كسرةٌ
نجمة مرةً
أو وسام
ضربة .. ضربةً
فانتبهْ
قلتُ :
ـ فات الاوانُ
ونسقط بين الرغيف
وبين المسنن للارضِ

نسقطُ
والارض واسعة ..
وتضيق بنا
والسماء تضيق بنا والهواءُ
الهواءْ

متعب صاحبكْ
متعب قاتلكْ
متعب ورق المكتباتِ
الاذاعات متعبةٌ
متعب .. متعبٌ
فاعطني من يديك .. يداً
واعطني ريشتي
فالطريق العمى
والرجال الدمى يقطعون الطريقْ
والعتابا حريقْ
ـ ودعيني .. غداً
ودعي الراحلينْ
ان قلبي يشير الى المقبلين ـ
هنا قبل ان يولد القمح من امه .. ننتهي
قبل أن ننتهي
حيث لا وقت للطيرِ
والبرقِ
في صورة واحدة

ننتهي يا فتى
أين قبر الرجال الجماعيُّ
قفْ ..
أمك الان باب المجالسِ

ترنو بصورتك الغائبة
هل ترى يا فتى؟
أنني دمعها
من عظامٍ
ولحمٍ
وضوءٍ
وامشي اليها
تراها يدايْ ..
مغلق بابنها زمنٌ ..
ينتهي
يبتدي
يرتدي صوتها
آهْ «يمّه» ...
أغيب وصوتي يغيب
وتغرق في بهجة الحزن أمي
وأغرق ..
نغرق في حفنة من ترابْ
والعتابا دم .. والشبابْ
يغطون وجه اليباب
العتابا دم .. والشبابْ
سفن من ورقْ
والرجال علقْ
انه المفترق

ننتهي يا فتى .. حيث لا ننتهي
يا فتى
مفجع أن أزورك سراً
ووحدك بالسر تأتي اليَّ
ـ انتبهْ

ـ اننا وحدنا
لا تخفْ
ـ إنتبهْ
ـ والجدارُ ؟
ـ الجدار .. جدارُ
ـ هو السجنُ
ـ لا بل هو السجنُ
ـ لا
ـ او هو القتلُ
ـ لا
ـ بل هو الـ ...
ـ وحدنا .. لا تخفْ
انني منصتٌ
ـ ...
ـ قلت ماذا .. فهمتُ
ـ ...
ـ وماذا
ـ فهمتُ
حرقة ايها الجبليُّ

الهوى حرقةٌ
والدويْ

هو الموت سيان يأتي غداً
أو أتى ...
يا فتى
انه موعد مشروع للذين اتواْ
والذين قضواْ
موعدٌ .. يا فتى ..

اشرب قليلا من الشاي
واشعل لفافتك الان قبل الغروبِ
لنأتي الى حيث نصطاد بعض الرصاصاتِ
هذا خلاصٌ
وان فلسطين غاليةٌ
يا فتى ننتهي .. حيث لا ننتهي .. يا فتى ..

قلتُ :
ـ ان تعطني جرعة من مياه «الشريعةِ»
رافقتك العمر .. يا صاحبي ..
متعب صاحبكْ
انما أنت بين عيوني
وبارودتي
موغل يا فتى ..

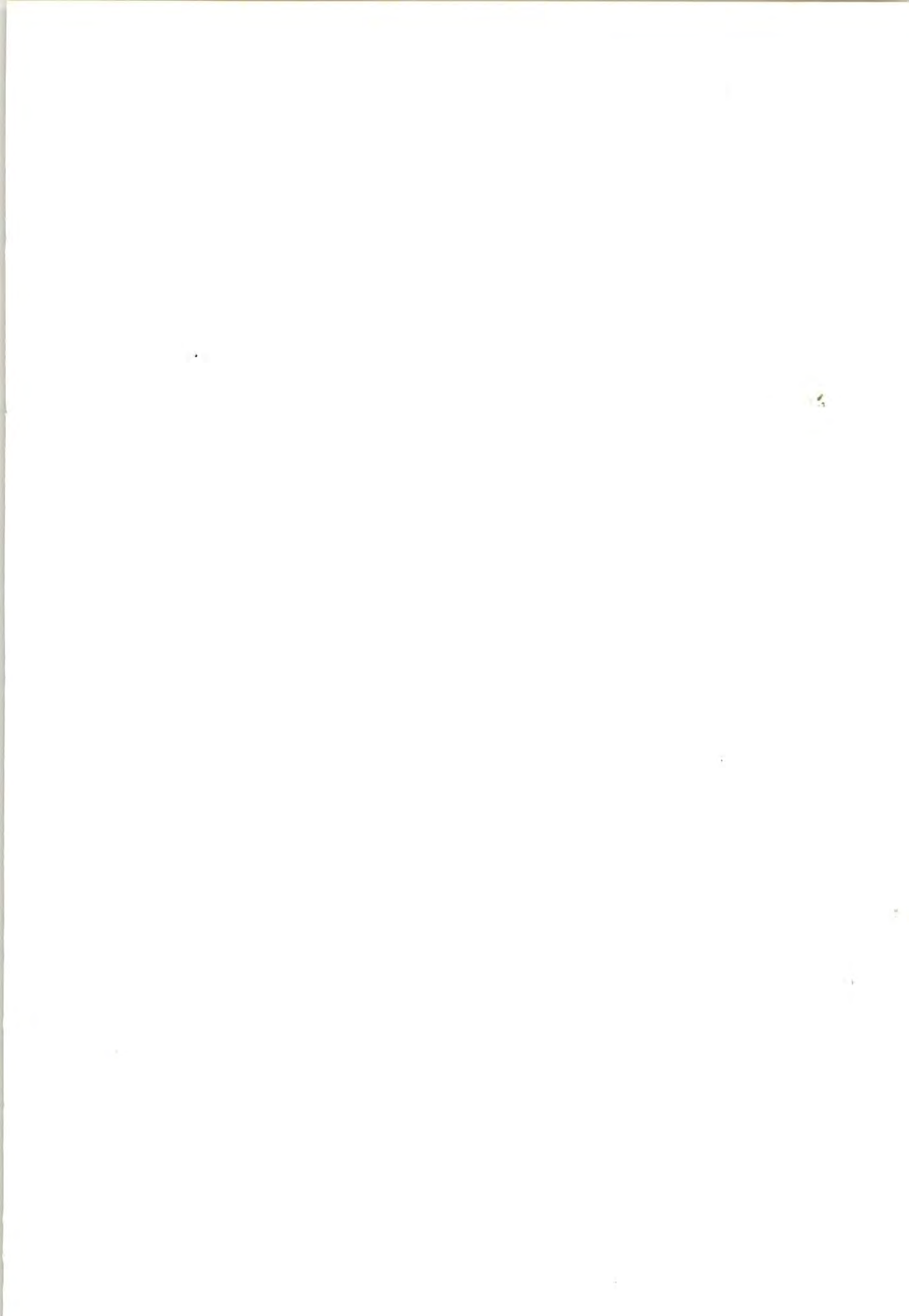
فابتعد في دمي
واقترب من دمي
حيث لا وقت للزيف
أو للضجرْ ..
ننتهي .. يا فتى
حيث لا ننتهي
فانتظرني ..
انتظرني
انتظر يا فتى
وانتظرْ

دمشق كانون أول 1979)


أسميك بحراً..
أسمي يدي الرمل

3

تلويحة للوجه الآتي



3 تلويحة للوجه الآتي

مُرةٌ .. مرة قهوة البارحة
مُرةٌ .. مرة كاللقاء الاخيرْ
شارع مرهق .. والرصيف جبالْ
خطوة في المدى .. خطوة في القرارْ
وأنا موغل .. موغل في الرمالْ ..
والوصول احتمالْ
وردةٌ ..
شاطئٌ
قاربٌ
قنبلة ..
ويكون النهار

ربما ..
ربما ..
هذه حالة للجسور .. النسورِ
الاراجيح مشتاقة للخطى
والخطى بين .. بينْ
والغَناء الصباحْ ..

ساعة من ورقْ ..
ساعة من دخان .. وأخرى مبددةٌ ..
ساعة من أرقْ ..
وتضيع الطرقْ ..
ساعة من قبور .. تضيق .. وتظلمُ ..
وهي تثرثر بالشعرِ ..
والحبِ ..
والكتب الرافضة
ساعة .. سأم .. وصديق تساقطَ ..
ثم تغادرني .. لأضيق وأمضي الى ساعتي
كان لي موعد .. ـ إن لي ـ «مر بي» أو غداً
موعدي ..
ورق من حجرْ ..
لا يمر المساءُ الذي مر بي ..
أو يمر السّحرْ ..
أعطني قهوتي كل شيء يموت على ساعدي
ليلةٌ ..
قمرٌ
ملصقٌ
قلمٌ
محبرة ..
وأنا شاهد مرغمٌ ..
وسجين الصدى ..

ربما ..
ربما ..
أنت مدمنة للبكاء .. وميّالة للتنائي ..
ومأسورة باللغة ..
كنتِ نشوانة بالهواء النقيّ .. على شرفة الصاعق العربيّ

ترفين كالجفنِ ..
أو كالعصافيرِ
مري بأغنيتي مَرةً
واضحكي مرة ..
واشتريني من الحزن .. أو فاشترينا من الموتِ ..
حتمية لا تناقش أنتِ .. ولكنها مقبلة ..
ـ أي هذي الجهات التي أبدلت ناسها بالعبيدْ ؟
ـ أي هذي الجهات التي أمحلت .. واستدارت
الى موسم للروى ..؟
ـ كيف هذى الطيور التي عبرتْ ..
حلقت .. غادرتْ ..
خلفت جرحها واسعا كالنوى
مثقلا كالزنابق .. بين الندى .. والهجيرْ ..؟
ـ كيف يا صاحبي .. هاجرت ..؟
ـ هاجرت ..؟
واختفت في الرياحْ ..

غيمة من دم .. غيمة من غبارْ ..
وأنا غيمة في الدوارْ ..
ممعن يا هوى في الطريق التي لا تؤوبْ
اذ يطول السرى فأنا صاحب للدروبِ
وأطروحتي أنني لا أضيع
ولا أسأل العابرين ـ المعونة ـ في المدنِ
الوافدة ..

ـ من يسمي الجميلة اسما يليق .. بأسمائها ..؟
أسئلة ..
من يقول فلسطين .. شق اليها الثيابَ ..
المتاريس .. بالكفِ

والجلجلة ..

وأنا مزمع .. حيث لا دهشة تحت جلدي
تحاور واقعةً ..
أو تفّر
اذا حيرتني المفاتيح أو واجهتني الغرابة
وارد نبعها ..
والترابَ
ولا أنتحي فندقاً
وأنام على الارصفة
حالما بالبلاد التي خسرت نفسها مرتينْ
مرة عند شطآنها ..
مرة في الجبالْ ..
حالما بتلال من الخبز .. والاسلحة ..
حالما أنها ربحتْ ..
ـ كيفَ ..
تنهمر المسألة ..
ثم ماذا؟
وأستيقظ الآن هذا المدى غسقٌ ..
والشوارع لا أحدٌ ..
مدن يعتريها السبات مبكرة في الرحيلِ ...
ومغرقة في العويلْ ..
ـ آن أن تومضي في الصهيلْ ..

صعبةٌ .. صعبة ليلة البارحة
صعبة كالعذاب الضريرْ ..
دفتر موحش كالصحارى .. وكالليلِ ..
أو كانعدام الرجاءِ
.. ولا نخلة في الدليلْ ..
حيث لا الوهم يأتي .. ولا أنت حاضرة خارجي

كان ما بيننا أفق معتمٌ
كان مستنقع بيننا موحلٌ ..
شجر لا يحب الكتابة .. يسقط أوراقهُ
ويموتْ
كان ما بيننا معبر كالاحاجي ..
وأبنية جهمةٌ
دول مبهمةْ ..
كان ما بيننا أنجم من صفيحٍ
وقشٍ
وذلٍ
ودالية بيننا ـ لا أقول الذي بيننا ـ جدول وخريرْ
نحن حين التقينا البداية كانت تفجّر بالاسئلة
ثم حين التفتنا الى دمنا
فرقتنا الاجابة ..

راعفٌ مطر البارحة
راعف كالحوار القصيرْ
ـ لا تقل مرحبا
ـ لا أقول الوداع
يومها كان وجه حبيبٌ .. وخبز قديم يعود الى الذاكرة
والطريق الى بيتنا مطراً ..
والمدى عاصفة ..
وعرفت الطريقْ
فاشترتني القرى قمرا للحدادْ

ان قلبي يستحضر الآن وجه الصبيّةِ
كنت قرأت لها الشعرَ
كانت حزينة
وهذا الذي كان يوم افترقنا

يعود شجاعا كبوابة للغناءْ
وها أنت تأتين مخضلّة في هواء حزين
كهذا الذي سوف يأتي الى دمنا بالمرايا
وللفقراء ببعض الهدايا
وبعض الحكايا
ولا شك .. مدركة أنني ـ صدفة ـ لا أجيءُ ..
حيث لا حلمٌ
أو شذى
حيث لا السحر تعويذة في يدى
غير أني .. أجيء ..

مرهف حدها كالشعاع الثواني
النداءات مرهفةٌ
والهواءُ
وأنتِ
ولا بأس أن نحتمي بالمقابر، لو طاردتنا الحراساتُ
أن نلتجي للعزاء، وأن نقتفي أثرا من حريقٍ ..
وماءْ ..

انها برهةٌ ..
في الغياب القصير مرار كطعم الغياب الطويلْ
وهذا الخراب الذي حولنا لا يُدارى
فليس هناك خراب جميلْ

أين من يرتدي وجهه في الزمان العسير
أين رمانة حفظت قلبها ..؟
نشوةٌ
ويدٌ
جرعة عابرة ..

غربة .. غربة رحلة .. رحلة البارحة ..
غربة كالرحيل المرير ..
حانة من زجاج .. وبعض المتعبين
وخسٌ
ولحمٌ
وهمٌّ يوزع بالمعلقة ..
وأنا صامت كالمهرّب أحفظ وجهك عن ظهر قلبٍ
ولا أحد مدرك أنه بيننا
يتناول كأساً و يفرغه
مرة في دمي
مرة في الزجاجِ
الشوارعُ معمية
وأنا مزمع غيبة لا تطولُ
ولا تنحني أو تؤول الى أحدٍ
خائف بعدها ..
بالذي بيننا ..
والذي يحترقْ ..
آن أن تمطري زهرة من جبال الشتاءْ
آن أن تزرعي قبلة
آن أن تبحري في العراءْ

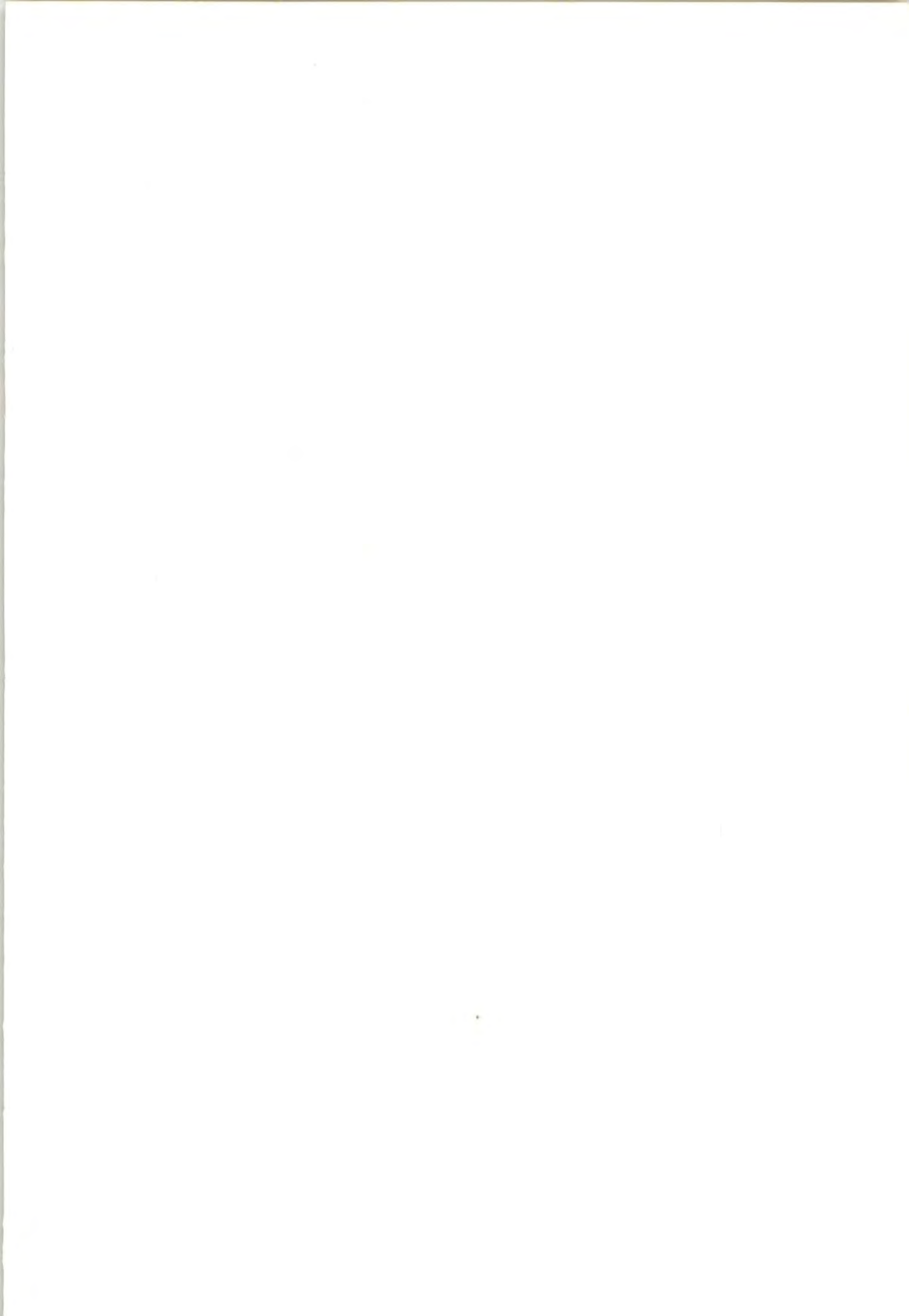
1980




أسميك بحراً..
أسمي يدي الرمل

4

للسيدة الكنعانية
أرفع هذا النخب



4

للسيدة الكنعانية أرفع هذا النخب



للسيدة الكنعانية .. وجه من شفقٍ ..
وقناع من حجر .. أثرئيٌّ ..
وجه من ثمرالغيب، ومن جارحة الطير عصيّ .. وشهيٌّ ..
وعيون ملآى بالعشقِ ...
وحافلة بطيور تغترب الى زمن مهدورٍ ..
ويبابٍ ..
ودخانٍ ..
وضنى ..
للكنعانية سحر عصيٌّ
ذاكرة تختزن جوى ..
وهوى ..
ومآتم تتزاحمُ ..
وخبايا خاوية من أحباب القهوةِ ..
والمهباش البدويُّ ...
عامرة بالقصبِ ..
وبالسّغبِ ..
وبالولع بتذكارات الكارثةِ ..
وبالخوف من الاسمنتِ ...

من الاسفلتِ ..
من الشجر العاقِر ..
والعبثِ ..
وايقاع الرقصِ ..
من الرغبةِ ..
والضجةِ ...
والاقبية الرطبةِ
والالات الحاسبة .. وأسواق العالمِ .. والشركات المتعددة الجنسياتِ ..
الخوف من اليقظة والنومْ ..
السيدة الكنعانية لا تثق الآن بأي ممن خذلوها بين الوثبة والوثبة ..
لا تثق بأي سلاح .. أو جرح يلمع .. أو شيء يلمعْ ..
تعرف أن الصحراء تخادعْ ..

لكن حين تجيء الي .. تحدق غير مصدقة .. وتفر الى ضاحيةٍ
ساكنة .. تتقلبُ
تسمع بعض الموسيقى ...
تمشي ..
تنشغل بترتيب المقتنيات الاجدى ..
وتخطط لليوم التالي ..
تطعم عصفورينِ ..
وتظلم عصفورينِ ..
وتشعر بالذنب، وبالحب، وتتسع الليلة للحلمِ ..
وتهتفُ ..
بين اللحظة .. واللحظة .. للذات ... وللقلبِ ..
يؤرقها الهاجس .. تقسم أن الدارة مغلقة .. تنفجر على عصبي ..
تتناثر تحت يديَّ ..
وتحت عقارب ساعتها ..
فأجمعها .. بين الرئتين .. وأسكنها قلبي .. كالعادة
حين تغيب وحين تعود على تعبٍ .. وسنى ..

للسيدة الكنعانية شعر مضفور بالبين، وبالمشط النفطيْ ...
ولها قلب نبي ينزف مغفرة ..
ويطيرُ ..
على شجن .. وأسى يتقطر في الحبرِ، وفي المطرِ
يُدي على أبواب معادلة الجبرِ
يعود اليَّ ..
بوجه كالخبز ..
وكالجوع ..
وكالنور ..
وكالفيّ ..
يا أيتها الكنعانية
نخبك أرفع كأسي .. وقرنفلي ..
نخبك أرفع جرحي للنجم ..
وقلبي للهم ..
وصدري لفريق الاعدامِ ..
وأشرب من عين السيلة* دمعاً
ونبيذاً
كدمي ..
كالجرس الآتي من برج القدسِ
دمي ..

كيف وجدت نبيذي ؟ ..
ـ كأس تكفي ..
أتثاقل فوق سحاب كالقطن .. وأبكي ..
ـ استيقظت الطفلة نشوى ببريق السكين ..
الطفلة تذبح .. أو ترقصْ ..

---

* قرية الشاعر.

أدعوها للنوم .. تنام على كتفي .. تستيقظُ ..
تفتح عينيها ..
وترى الكأس الفارغة .. الى النوم تعودُ
وكفي تتحسس حزنكِ ..
ياسيدة الحزن ـ وصمتكِ ـ ..
يشربني ..
يحميني صمتكِ ..
أو يقتلني ...
ياسيدة الصمت الواعد .. والبوح ..
ويا سيدة السنوات الصعبة ...
والمطر الوردي الفوار .. الشاعرِ ..
فورى .. ..
اني في وجهك قدر كالبحر المتوسط ..
كالنيل ..
وكالجبل الكنعاني ..
كصحراء النقب .. وكالسهل (العرّابي)
وكالارغول على صدر الدبكة .. ..

وكالصبر أجيئك يا سيدة الصبارِ ..
وئيد الخطوِ ..
وكالبرقِ ..
كحد السيفِ
وكالدهشةِ ..
والشهقةِ ..
أنت غناء يعبر بوابات العالم .. تطريز كنعانيٌّ ..
ثوب لا أبهى ..
يتكسر فوق تضاريس الدنيا ...
يسطع قمرا فضيا كقلادة أمي ...
أو كوسام يحمله الشهداءُ ... ...

أكتب من دمنا .. من حجر يخضر باسدود، ويورقُ ..
من لؤلؤة في بال الغواص البحراني الموصولِ ..
بقلب حبيبته .. وهو يقاتل سمك القرش
ويصعد في صخب الموج اليها ..

أصعدُ ..
فورى ..
ياسيدة اللؤلؤِ ..
يا سيدة الاوسمة المرةِ ..
وائتلقي ..
عرساً في البرِّ ..
وفي البحرِ ..
وفي الامد البكر الطالع من نسغ الزهر الشتويِّ ...
وفي البرهة كالسيلِ ..
النجم يحاور نجمتهُ ..
يا سيدة الانجم ..
ـ ماذا في الصحف اليوم .. ؟
ماذا حل بأهلي .. ؟
ـ انتفض الطلابُ ..
العمالُ ...
العلم يرفرف .. في وجه الرشاش .. الصبيان .. الفتيات .. الشجرُ
ـ ولا وطن يكبر في العرب، ويعبرها ..
ان فلسطين الوطن .. الاقربُ ..
والابعدُ ..
والاسم الحركي لهذا الوطن العربيِّ
ولا ينهض من دمنا .. لا ينهضْ
يا سيدتي ...
استوطن منك شجاعتك القصوى ..
الفرح الآتي ..

الموال المجرورَ ..
على أكتاف المدن .. استوطنتك أيتها الكنعانيةُ ..
لا غربة بعدُ ..
ولا سفرٌ ..
يا سيدة الفرح .. ويا سيدة المأساةِ ...
امتلأت كفي بالعسل الجبلي .. وبالضوء الاسمرِ ..
يا سيدة الضوءِ ...
اندفقي .. واضيئي الاغوارَ ..
الشطآنَ ..
وبيسانَ ..
العتمة قاتلةٌ ...
بعض الضوء .. وأطلع الاحباب دليلا في الكتبِ ..
وفي الارضِ ..
وفي الناسِ ..
وناراً .. ..
يا سيدة النارِ ..
الفولاذِ ..
الصخرِ ..
وسيدة الشجر المترع بالخمر الكنعانيةِ ..
ـ أرفع كأسكِ ..
نشرب من كأس واحدةٍ ..
ونؤجل بعض بكاء مرتعش في القلب .. وفي العينينْ ... ...

ـ الليلة برد .. يا سيدتي ..
ـ الليلة برد فعلاً ..
ـ ادثري ..
... وعيونك متعبةٌ
ـ أخجل من تعبي ..
ـ لا بأس .. ونامي بعض الليلِ ..

ـ رغبت ولكنْ

آه يا سيدة الزيتون الكنعانيةَ ..
ظلي وارفة كالليلِ ..
وكالمطر العاشقِ ..
كالالقِ ..
ويا سيدة الفجرِ ..
الفجر امتشق البارودَ
الغربةَ ..
والعزلةَ ..
أسلحة .. ومضى للحربْ .. ..
الرحلة تزرع درب القلب عذاباً ..
وشبابا ..
وعتابا ... .
يا سيدة الليل الوحشيِّ ..
الغجريِّ ...

قميصي لو تدرين .. أحب قميصك .. لو تدرينْ ... ...
نتبادل بعض الكلمات، وبعض الصمت، وبعض التبغِ ...
نجوع فنأكل بعض الخبز، وبعض الملح، وبعض الحلم، وبعض القبلِ ...
الكتف الى الكتف .. القلب الى القلبِ ..
ـ الطبل الافريقيُّ ..
الجازُ ..
الرشاشُ ..
القصفُ ..
اختلط اللحمُ ..
الاعصاب احترقت والنومُ
ورف حمام في الافق الغائم يخفق .. يهدلُ ..
ثم يهاجر منسلاً ..

يتشرد في المدن القاصيةِ ..
الردة تذبحنا ..
نتدفقَ
ـ يا دمنا ..
ـ يرسم للعشاق دروباً
وبنادقَ
يا سيدتي

حين يودع واحدنا الآخر .. يا سيدتي ...
تفجأنا التلويحةُ ..
ما نلبث نتلاقى .. ثم نُشردُ ..
لكني في الجسد الكنعاني أحل ..
وفي شرياني الفرس الكنعانية
يا سيدة الخيلِ ... ...
تصير الحمحمة صهيلاً ..
والخبب طراداً ...
أتنشق رائحة الصوان .. ويلسع عيني الشررَ ..
الارض وأنت النارَ ..
أنا والارضُ ..
وغابات للغار .. ونمضي ..
يا سيدة الغار ... ...

سيدتي ...
ان بذهنك شيئا .. كالذكرى .. كالندم .. وكالخوفِ ..
كخاطرة عجلى .. قولي .. الدفلى سمّ .. وجميل زهر الدفلى ...
ـ لا شيء ...
ـ على شفتيك الكلماتُ ..
القلقُ ..
الارقُ ..

الحذرُ ..
ـ الغضبُ ..
الطرق محملة بالليلِ ..
وبالشوكِ ..
وبالقارِ ..
وبالعارِ ..
انتبهي
ـ هذا الزمن العربيُّ القاتلُ ..
بائع وطن الثوارِ ..
واكل لحم الثوارِ .. ..
ـ كم ساعتك الانْ ..
ـ الساعة لا تعمل بعد القصفِ ...
انفجرت بيروت .. انفجرت نافذةٌ
والزمن العربي .. القاتل والمقتولُ ..
أنا .. والخيلُ ..
وأنتِ
ـ أحبك سيدتي ..
الفارس يحمل جرحكما .. ويغادر فوق تخوم المدنِ ..
ويلقي ظل عباءته فوق الانهار، يسير على خارطةٍ ..
من ورقٍ ..
ودمٍ ..
وسماءْ ...
ـ يا ...
صوت حبيبي لا تفجعني ..
ـ أتوجع قرب الهاتف .. أتلوعُ
ـ أو قرب المذياع ـ اللعنة ـ لا يأتي الخبر العربيُّ ـ اللعنةُ ـ
يتناول بعض الكتبِ ..
الاوراقَ ..
ويكتب .. يقرأ سطراً في التاريخِ ..

وتدمع عيناه .. يدخن .. تدمع عيناهُ
ويصرخ في داخله .. الوهن ... الاحباط ... العفن ... الثورةُ
لا يأتيكِ ..
ولا تأتين اليهِ ..
يفرق بينكما الوطن الضيقُ ..
تجمع بينكما الغربَة ..
يا وطن الحب أغثنا ..
القهر بيادر غلتنا ..
وحصادي صادره قطاع الطرقِ ..
فلو أني سيدتي قاطع طرقٍ ..
لقطعت عليك الدرب الى الغربةِ .. أو لقطعت عليك الدرب الى اللغة الدارجةِ ..
الصحف اليوميةِ .. والاسبوعيةِ .. والمذياع الكذابِ .. لو اني سيدتي ..
أقطع دربك .. وحدتك .. وأعطيك الجمرَ .. وبهجتهُ .. لوْ .. ..
لكن تحت رمادي مرحلة ملآى بالموتِ ..
وبالصمتِ ..
وتحت عباءتنا الصوت المختنقُ
ونمضي ..
نعزف .. نطلق لحن الله الارضي رصاصاً ..
ونحاساً ..
عيونا تلمعُ ..

ـ قولي شيئا
ـ ماذا ؟
يا عمري .. أنت يمامتي الحرة .. والبركانُ ..
أودعكِ ..
وأنت مصير العاشقِ ..
والحب الدائم أنت .. الازلُ ..
الابدُ ..
الواحدُ ..
والاحدُ ..

فماذا أعطيكِ ؟
الخاتم والنهر ..؟ الخرز الازرق ..؟ والشعر ..؟ الآهاتِ ..؟
- ... ...
البحر يجيء البحرُ ..
الشمس .. الاحراشُ ..
الجزرُ ..
المرجانُ
احتفلي يا سيدة البحرِ ...
و يا سيدة السفنِ ..
و يا سيدة الشمسِ ..
و يا سيدة الجزرِ ..
و يا سيدة الاحراشِ ..
و يا مرجانة سيفي ..
البحارة آتون .. يغنونَ ..
احتشدوا بين البحر .. وبين النهرِ ..
اشتعلوا ..
بين دمي .. ودمي .. تشتعلينْ ..

أنت تناديني باسمي .. فاحذرْ ... ...
اتحدث كالمستقبلِ ...
كيف المستقبل ..؟ كيف نصير وكيف نكونْ ..؟
- فليكن الان الوعد المكتوب لنا بالوردِ ..
أو الليمونِ ..
أو الزيتونِ ..
المكتوب على الورق الزعترِ
والعشب البريِّ
المكتوب على الرملةِ ..
والرملِ ..
الصبرِ

العطش المعلنِ ..
والعطش السريّْ
فكوني كالبيرق معلنة .. كوني ..
كالارزة فوق الجبل الثلجيّْ ..
كبيت اللاجىء كوني لي .. وأكونُ
انتظري وانتصري ..
لا يخشى عابر نهر الاردن الغرقَ ..
ولا يخشى من يمم شطر فلسطين الموتْ ..
يا سيدتي الكنعانيةَ ..
سيدة الدمع .. وسيدة الماءِ ..
الريحِ ..
العاصفةِ ..
الاعصارِ ..
الصاعقةِ ..
اقتربي ..
اني الثم فولاذا مشحونا بالدمِّ ..
ونلتصق الانَ
الصدر الى الصدرِ
انتفضي ..
أتلمس وجهكِ
ـ من أنتْ ..؟
أحبك أكثر من اغراء الغربةِ ..
أو ادمان الفرقةِ ..
ان بلادا جائعة للخبزِ ..
وللحبِّ
انتشرت فينا ..
ومواقدنا اشتعلت للعيد القادمِ ..
والقاصر تتلوى بين رغيفٍ
ورصيفٍ

وجدارٍ ..

ومــدارْ ... ...

فالصوت صدى ...

والموت مدى ... ...

ما بين الغيمة .. والاشجارْ

ما بين الخاطر والانهارِ

الشوقُ ..

التعبُ ...

النورسُ .. ...

يا سيدتي الكنعانيةَ ..

يا سيدة الانهارِ ..

الاجملُ .. والاروع .. والاغنى .. والأكمل .. والابهى ..

والابعدُ .. والاقربُ

أنتِ ..

وفيك .. الاغنيةُ

ترابٌ ..

ودمٌ

وندىً

ماذا تنتظرين ..؟ ابتدأ العد العكسيُّ ..

ـ العاشرةُ ..

التاسعةُ ..

الثامنةُ ..

السابعةُ ..

السادسةُ ..

الخامسةُ ..

الرابعةُ ..

الثالثةُ ..

الثانيةُ ..

الواحدةُ ..

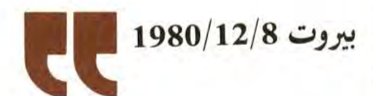
الصفر ..

ـ انفجري .. انفجري .. انفجري ... ...

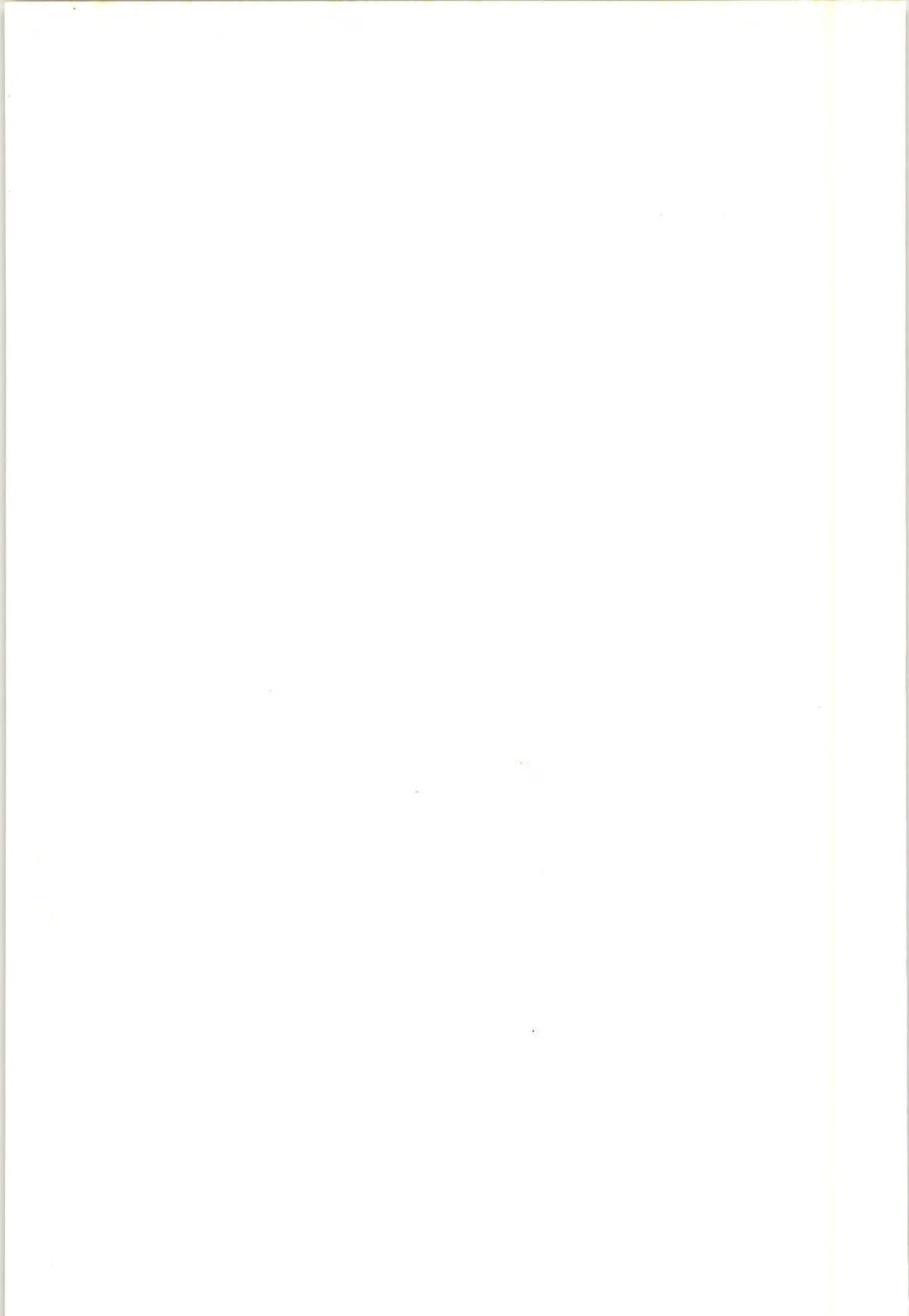
فالوقفة ضائعة سيدتي الكنعانيةَ ...

ضائعةٌ ...

وسدى ... ...



بيروت 1980/12/8

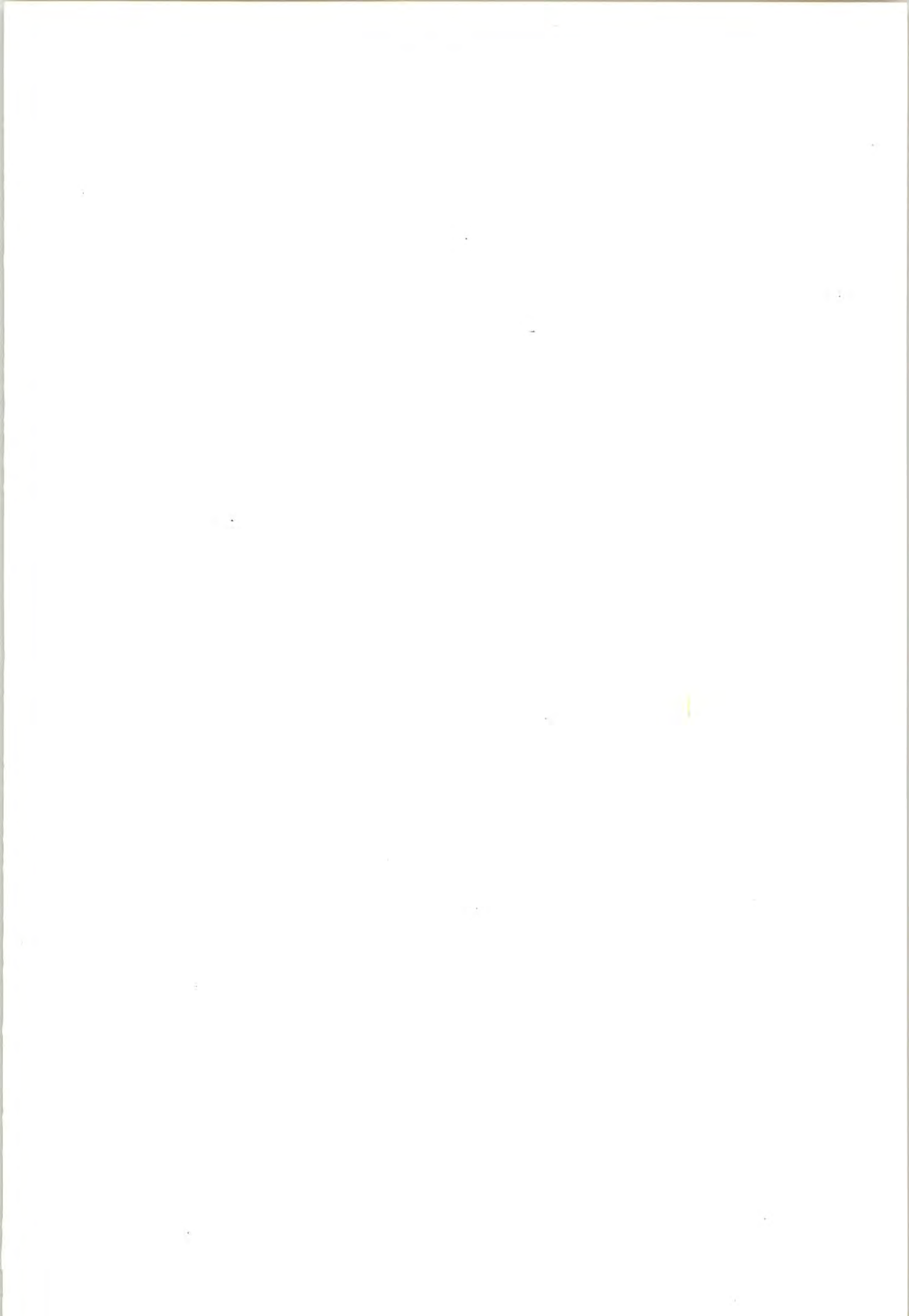



أسميك بحراً..
أسمي يدي الرمل

اسميك بحراً..
أسمي يدي الرمل



5



5

اسميك بحراً .. أسمي يدي الرمل



أحب القطارات .. والبحرَ ..

مذ عبرتني اليهِ ..

ومن لا يحب يموتْ

أحبكِ

وكي لا أموتْ

وكي لا نموت احترقنا ...

وكنا نسينا .. تفاصيلنا .. وافترقنا ..

ووجها لوجه .. ضحكنا .. بكينا ..

على مدن لا ترى .. أو ترانا

ولا غادرت نفسها .. للوطنْ ..

وهو من حولنا يختفي ..

يختفي ...

ـ هل تقول الجرائد شيئا عن الطقسِ

ـ لا ..

فالجرائد مقروءة في المطابعِ

منشورة في الشوارع .. بيضاء .. بيضاءَ

أو مظلمة
ومشغولة باللهاث .. المخابز .. والارصفة
ومحتلة بالعساكر كالقدس ..
مأخوذة بالفراغ المدن ..
وحالمة بانتشار السياحةِ ..
مغرمة بالسدى ..
راجفة ..
وان كل صوتي مثل السكاكين ..
غني .. وغني ..
لكي تألف الرعب .. والمذبحة ..

ـ سنعبرُ ...
جئتك منذ العباءاتِ
والشعرِ
منذ اختراع السجونِ
ومنذ المحاكمِ
والذلِّ
جئتك من صداءٍ
وسكونٍ
ودوامةٍ
واحتضارٍ
كعصفورة خائفة.

وأني أجيئك من بيرق كالجناح الوحيدْ ..
ومنذ افترقنا حملتك في صفحة من نحاسٍ .. ..
وفي صفحة من حديدٍ ..
وفي صفحة من صخورٍ ..
وفي صفحة من غديرٍ ..
وفي صفحة من دخانٍ ..

وفي صفحة من كتاب المسافة .. والسنديان
وفي لغة القبرة .. ..
وفي حالة من يباسٍ
وفي وقع خطو على ورق الموزِ
أو في المخاضةِ
والبؤسِ
أو أصبعٍ
وزنادٍ
وفي شاهد من رخامٍ
وفي الصوت .. والموت ـ كنا معاً ـ في صليل الحدادِ
ومالت بنا المركبة
الى مطر .. لم يصل .. أو وصلنا ..

ـ وها أنتِ ..
نخضرُّ في الوقت .. والوقت من ليلكٍ ..
وانتظارْ
ومن تعب عاشق
واحتمالْ ..
ومن عنب حامضٍ
من سؤالٍ ..
ومن ثلج صيف
ومن لحظة الانفجارْ ..

هنا القدس .. تأتي الينا السهولُ ..
فنذهب اليها كجرحين في جرس يعبران الجبالْ
الى القدسِ
والقدس .. من غبشٍ ..
وحوارْ ...

وان قلتُ:
ـ اني أحبك
قلت كلاما أليفاً
وقلت كلاما سخيفا .. كثرثرة في المقاهي
و يأخذ كل طريقه
لهذا ..
أمزق حنجرتي مرة بيدي .. مرة بالعتابا ..
وأخرى بخاطرة مرة .. أو بسيف الظلالْ ..
وثمة خوف على النيلِ ..
ثمة عقم أصاب القرى .. والاصيلْ ..
وثمة أوبئة فرخت في العواصمِ ..
والماءُ فيها
ومنها يهاجر سكانها ..
و يقتات من لحمها العربي الغزاةُ
و يأكل سجانُها ... ...
و يحملك الصوت .. .. كالصبر
ـ خذني ...
كما تأخذ الريح أشلاءها .. وابتعدْ ..
وابتعدْ ...
ـ هل نهاجر
أم أنت غائبة
غربة ... غربة ...
أنت بيْروت يا أيها الوطن العربي الملخَّصْ
بالقتل، والكلمات التي خاطرت بالرجالِ الى حالةٍ .. بين .. بينْ ..
وكنت توجست فيها .. ولكنهم ضحكوا ..
وها نحن .. والقدسُ
لكنني الآن في البحرِ
فأرمي ذراعيك حولي .. أنت على سفرٍ
وأنا موعدٌ

والنساء اللواتي قطعن المسافة نحوي
رحلن وفي شعرهن القصائد مضفورة بالغبارْ
وتلك الحقول التي أزهرت بغتةً ..
قايضت حلمها بالقفارْ ..
وتغزل من يأسها أجنحة ..

أسميك بحراً
أسمي يدي الرمل .. أو جسدي
مقفل أول الحلمِ ..
قتلٌ ..
وآخره مالحٌ ..
ثم أصعدُ ..
وعرٌ
وان المسافة للقدس عمياءُ
عمياءُ ..
والبحر يفتح عينيه .. يأخذني
البحرُ نبض .. يجيءُ
ونبض يضيءُ
ونبض يعذبنا بالنداءْ
وأنت تشقين درباً الى القلبِ ..
أنت معلقةٌ بالخواتمِ ..
أنت معلقة بالرجاءْ ..
وتلقين للقدس نهرا من الحبرِ ..
جيلا من الدمِّ
والكبرياءْ
فيغدو الحصى مطراً ..
يرتوي ..
والمنافي .. تصبر بلاداً ..
تزود أشجانه بالعتاد ..

ـ أود لو أبكي ..
ـ لماذا ؟
ـ لأن العصافير تبكي ..
وبي رغبة لا تقاومُ ..
ـ خذني الى قلعة من ضلوعٍ
الى قمة. في الغمام
بطائرة .. من حمامْ ..

وخذني كطفلين .. سوف نكون ..فخذني
ـ كأني سأبكي ...
ـ كفى ..
سوف أبكي كناعورة من عيون
فأني حزينة ..
ـ أود لو أني خلعت قميصي .. وجلدي ..
وعدت صغيراً
لأبكي .. وأبكي ..
ـ ستبكي اذا .. فاجعٌ .. فاجع يا بكاء الرجالْ
ـ لأني ..
.. ومحمية بالسناكي القصورِ
ومهدورة في الرياح التلال
ومغدورة بين وأد الصبايا ـ العيون ـ وجر الحبالْ ..
ومسكونة أنت بالياسمين .. وبالبرتقالْ ..

أتدرين ..؟
هذا دم من حجرْ ..
وهذا دم من ترابٍ
وعشقٍ ..
دم من شجرْ ..
دم من حريرٍ

دم من كلامٍ ..
وضوءٍ
دم من ورقْ
وهذا الذي تخلعين على شاطئيك عذاب وأحزمة من لهبْ
تنشّر أحزانها ..
وتطير الى جبل من خيالٍ
ودمعٍ
وشمسٍ
وصوتٍ
وعشبٍ ..
وقتلى من الناسِ
والدورِ
والميجانا
والصورْ ..

و يقترب البحر ...
تبتعد القدس عنا كسنبلة أحرقوا حقلها.
فتفتش عن شهقةٍ من رصاصٍ
وأجوبةٍ من غضبْ
ونحن نحاصر بين السِبابِ
و بين التعبْ

تحدث قليلاً
ـ تحدثتُ ...
ماذا تقولين أنتِ ..؟
ـ سأهمس أني بدونك كنت وحيدة .. ..
وأني أحب النبيذَ ..
وهذا المكانَ .. ...
وأرغب لوْ .. ...

وأود لو أني أقبلك الآن .. لكنْ ..
... وأن الذي أدفأ القلب ذات مساء شديد البرودةِ
كان قصيدة ..
ـ وماذا ؟
ـ وأني سرقت طعاماً
وشيئا من الحب يوماً
وملعقة من خشبْ ..
وأني أخاف اللصوصَ.
وأخشى أبي ..
وأضيق بكل الليالي الطويلة .. والزيف والموعظة
وأني أحدق في البحر من زمن التوقِ
اني أغني
وأدعوكَ ..
أن بلادي مضيعة بين ظل الغزاة ..
وظل الندامة .. والشك بالأمس ـ واليومِ ـ
والغدِّ
اني مبعثرة بين نافذتي
والمرايا ..
وأني تجاوزت عمري جيلينِ ..
أهرب من عاشقٍ ـ ويدينْ ـ ..
وأني أعيش حزينة ....
وأن العيون التي في يديَّ تغادرني مرتينِ
فأبكي ..
وأخشى الهموم الصغيرة
ـ وأخشى أنا أن أموت قبل الوصول الى القدسِ
ـ لا ..
ـ انني في الطريق اليها .. ولكني خائف من بلاد سأدفن فيها ـ غريبة ـ
وأخشى عليك الهواء الملوثَ
أخشى عليك المدينةَ ..

وأخشى على طفلنا أن يموتَ
من الحب .. أو من شقاء الطفولة ..

وفي البحر أروقة من ندى ..
وللبحر بوابة في الجحيمِ ..
وفي البحر أشرعة أغرقت في النوىٰ
والردىٰ
وللقدس أزمنة لم تجيء .. صوتها ـ
والصدى

وها نحن ـ والحلم يكبر ألفا من السنواتِ
الليالي تضيف اليهِ ..
تركبهُ
وهو يكبر في البحر .. والقدسِ
يتسع الآن للحبِّ
والشوقِ
يبقى صبياً
يغازل كتفيكِ ..
يركض من وجعٍ ..
ويحوّم حول الفراشاتِ ..
تأتي اليه النوارس حاملة أنجماً ..
ودماً
طرقاً
ومباني
وحاملة كتبا .. وليالي ..
وحاملة قلما .. ودفاتر كالغيم ناصعةً
ثم يمطر من ماسة كالمدى
وأهتف للقلب .. من فرحٍ ..
ـ نلتقي ..

وان شئت هذا ذراعي .. قلبٌ
ـ أقول لك الصدق .. بي رعشةٌ
ـ كنت في قمقمٍ ..
كنت في طائر البسوا ريشه قفصاً
حنطوا صوته ..
ثم غنى لسجانه ذات يومٍ
ونام على صوته .. فأختفى
ـ ثم ماذا؟
ـ تحسس أوتاره ..
وانفجرْ ..
ـ سأدعوك للرقص هذا المساء ..
ـ قبلت ..
فكل البكاء .. غناءٌ
وكل الغناء .. بكاءْ

هو البحر .. يأتي اذاً ..
حين نخرج للقدس .. تدخل فينا
وتعدو ..
فلا شيء يوقفها ..
أو يرد لها وجهها ..
فتواصل أوجاعها الأسئلة ..
هنا القدس ما بين قوسين ..

رمانة في اليدينِ ..
ونافذة في الحصارِ ..
تراوح بين الحجارة .. والنار ..
ان وقّعت موتها .. أشرقتْ ..
وهي تشهد وجه الدمارْ
وتزدرد المدن العربية خبزا يغمس بالمهزلة ..

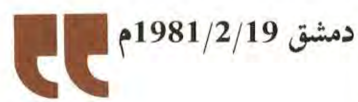
ومن زعفران .. ونار .. طريق حبيبي
ووجه حبيبي ..
وكف حبيبي ..
وصمت حبيبي ..
وصوت حبيبي ..
وشعر حبيبي ..
وثغر حبيبي ..
ولون حبيبي ..
وقامته .. والرداءْ ..
ومثواه في ملصق .. أو بكاءْ
ومثواه في كأس خمر .. وماءْ ..
ومأتمه فرح في الهواء ..
وفي الصدر .. والزند للقدس صورة

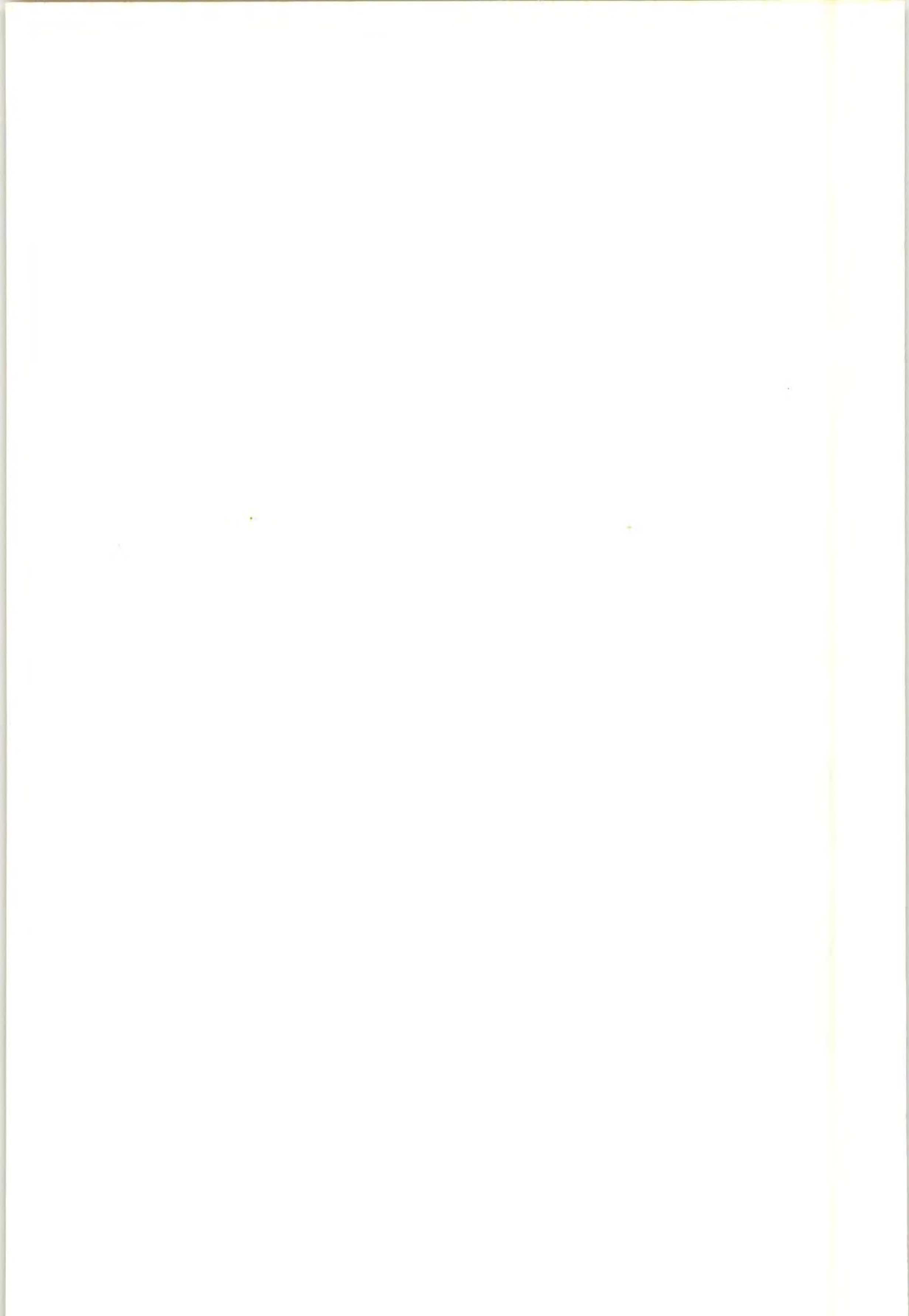
أسميكِ .. ..
ماذا تسمين هذا الصباح ؟
وهذا الوطنْ .. ؟
وهذا الذي بيننا .. والسماءْ ؟
وماذا نسمي الشبابيكَ ؟
والوردَ ؟
والليلَ ؟
والقمر اليعربي الحزينَ ؟
المدى بين ضوئينِ ؟
صوتينِ ؟
هذا النخيل المسائيَّ ؟
والبحرَ ؟
والكلمات التي لم تُقلْ ؟
والهديل الجميلْ .. ؟
وماذا نسمي الينابيعَ ؟

والأنهرَ ؟
الجسر بين السنينِ ؟
وبين المحال ؟
وماذا نسمي مدار الصحارى ؟
ورف الحبارى .. ؟
الشعاع الظليلْ
وماذا نسمي الصواعق بعد انفجاراتها ؟
والحريقْ ؟
وماذا نسمي زمانا يجيء .. ويرحل في ذاتهِ ؟
أو يقيمْ .. ؟
ويبني له منزلا في العقيق ؟
وماذا نسمي اختناق المناديل في البحرِ ؟
والبحر .. والقدس .. وجهان يستفرقان الرحيلْ ..

هو البحر .. مر .. ومن نبأ كالطيورِ ..
ومن رحلة فاجأتهُ
ومن سفر في العويلْ ..
هنا القدس .. ليست هنا ..
ويردُّ الرماد ..
- موزعة بين نبل النجومِ ..
وموت الشتاءْ ..
معذبة بين .. بينْ
معذبة بين ... بينْ
معذبة بين ... بينْ

دمشق 1981/2/19م





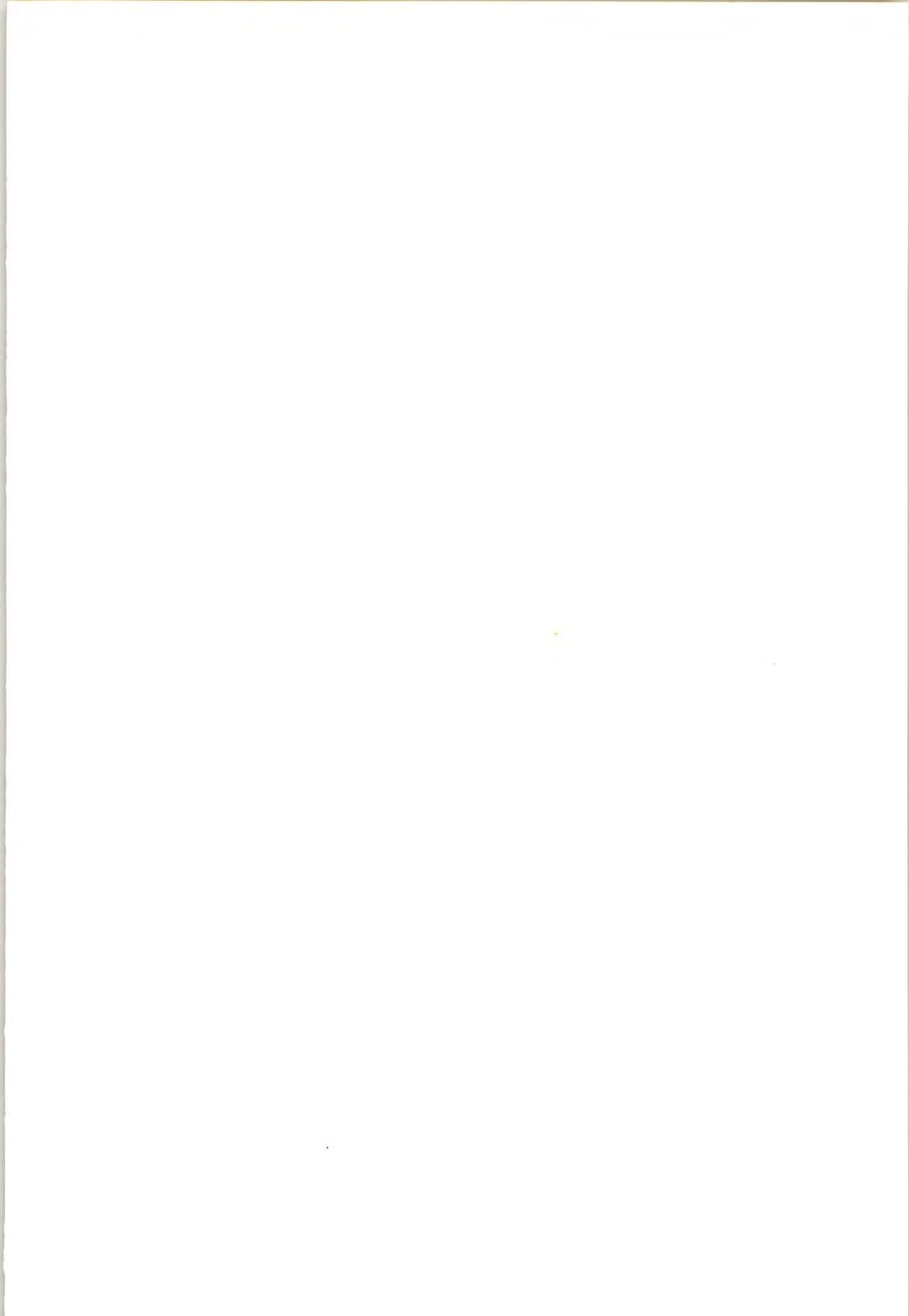

أسميك بحراً..
أسمي يدي الرمل

الى طفلتي
ريـم في هـجـرتـها الـثـالـثـة

ياميجانا صبراً..
ياميجانا ياريم

6





الى طفلتي ريم
في هجرتها الثالثة



6 ياميجانا صبرا .. ياميجانا ياريم

ياميجانا .. ياميجانا
ورد .. وقافلة .. وبحرْ
رمانة في الغيبِ
أو وعد رمادي .. لورد لا يخون .. ولا يخبيء وعدهُ
لكن يفتح في الظلامْ
وأنا أحبك منذ أن عانقتني
في فاصل الحلم البرىء .. وفي السلامْ
وأنا أحبك منذ أن فارقتني
وأحب نبضك في الركامْ
ياميجانا .. للبحر أنت حبيبتي .. وأنا
وللبحر النذورْ
للبحر وحب حبيبتي الحبلى بطفل ظلَّ يقتل قبل أن يأتي الينا
ثم جاء مسربلا بدم .. ومصطلح هجينْ
مذ جاء مقتولا على كفين من شوكٍ
ونافلةٍ ..
وطينْ
فترنحت كتفي .. ولكن لم أفاجأْ ..
ياميجانا .. هذا سقوط القتل ..
هذى وقفة العشاق في نعش القتيلْ

وأنا المسافر مذ ولدتْ
وأنا المحارب مذ ولدتُ .. ومذ كبرتْ
وأنا المحارب أذ أعود اليك في البحر الشريدْ

ـ يا بحر .. تشبهني وأنتْ ..
يا بحر .. من صخب وصمتْ
يا بحر .. غن الموتْ
يا بحر .. أنت الصوتْ
وأنا مشردك القديم .. أنا الذي لا بحر لي مذ كنتْ
وأنا الذي آتي اليك .. فخذ يدي للبيتْ

يا ميجانا .. يا ميجانا
والبحر مرآة .. ومرحلةٌ .. ومن رملٍ .. وقارْ
يا ميجانا يا دارْ
كل الدروب الى المنافي صعبة ـ .. كل الدروبْ
البحر .. والطرق القديمة
البحر .. والطرق الجديدة .. والمدنْ
البحر .. والحزن المثابر .. والسجونْ
البحر .. والجزر الجميلة .. والسنينْ
البحر .. والعتمُ
القناديل التي انطفأت على ظمأٍ
ولون الليلِ
والغيم الخريفي الحزينْ
وأنا .. وأنتِ ..
وسفر أشعاري .. وهذا الورد في كل الفصولْ

يا ميجانا .. للبحر .. والسفنِ
يا ميجانا .. للنار
ـ ماذا تردد نشرة الأخبارْ .. ؟

ماذا سيلعب في الغد الأطفالْ ؟
هل أنت يا تفاحتي مكسورة الخدين .. والخاطرْ ؟
ماذا سيروى في غد .. للغائب .. الحاضرْ
من يشتري منا ؟
دمنا .. ومن منّا ؟
يا ريم .. يا غربة
رفقا بدمع العينْ
في طقسنا الماطرْ ..

يا ميجانا
ـ لا تيك في عين النهارْ
ـ اني افجر دمعتين ولست أبكي
فاحتضني قبل أنْ
ـ ردّي العذابْ
وخذي أساورك الجميلة من دمي
ـ خذني معكْ
خذني معكْ
فالورد مقصلة الذي يرمي الى البحر الخواتمْ
في الورد تختبيء الكواتمْ
ـ والورد منديل المدينة للشبابْ
وأنا أحب الميجانا
وأنا الترابْ
طفلي على قلبي .. وقلبي لا يموتْ
يا ميجانا .. الكتب التي احترقتْ
يا ميجانا .. الصوانْ
يا ميجانا .. الشبل الفلسطيني .. والنيرانْ
وأنا أحب الزعتر الاخضرْ
وأنا أحب رغيفنا الاسمرْ
وأنا أحبك لو شقينا .. أو سعدنا

وأنا أحبك لو رحلنا .. أو بقينا .. أو قتلنا ..
أو ..
أحبك .. في المساءِ
وفي الصباحْ
وأنت نجمتي الشريدة .. أنت وجهي ..
والدليل اليك .. ورحبة مثل السماءْ
اني أحبك .. مثلما أحببتني
يا ميجانا ..

بحر .. وأغنية .. وغارْ
ويدي ملّوحة لها .. المنديل من وجعٍ
ومن حجرٍ
وقهرْ
ووجوه أحبابي نحاسْ
يبست .. ويقترب الخطرْ
يبست .. وقد حان الوداع
يبست .. ويقتلع الشجرْ
خفق الشراع .. وبحرنا زمن يجيء بلا زمنْ
وأنا .. وأنت الآن لا منى مودعتي
وأنا .. وأنت الى الرياح .. ولا وطنْ
يا ميجانا .. يا ريمْ
يا ميجانا .. يا ضيمْ
«دونك عجاج الخيل ملّا مروجنا» ..
يا ميجانا
ردّي الرداء .. وواصلي الخطواتْ
لا تندبي .. من ماتْ
مذ ودعتني في جدائلك القصائد صرت وحدي ..
كيف لا أبكي .. وتبكينَ
ـ وداعا .. يا حبيبي

ووداعا أيها الباقون في ليل المدينة
ووداعا أيها الصامد في المتراس من بعدي
ـ وداعا
ـ وودا .. عا
ـ انني أترك قلبين على الميناءِ
أو صبرا .. وشاتيلا
ـ وأنا أودعت قلبين الى البحرِ
ـ اطمئني
واطلقي اسمي على الاطفال
يابو الميجانا

بيروت من عطش .. وماءْ ..
بيروت من لحم .. وظاهرة .. ونصرْ ..
بيروت من همس .. وأسئلة .. ونارْ ..
وفراشتي دمها غبارْ
ويقال من زبد الجرارْ
بيروت لم تكذبْ
بيروت لم تلعبْ
بيروت لم تتعبْ
بيروت لم تهربْ
بيروت عاصمة الساحة كلها .. لكنها في البحرْ

يا ميجانا
ان الطريق الى بلاد لا ترى بحرٌ
وأحزانٌ
وعارْ
وتكون أضيق من مراكبنا شواطئها وأضيق من مراكبنا البحارْ
يا ميجانا .. منشورنا الاولْ
يا ميجانا .. خيالنا الاجملْ

يا ميجانا .. وطريقنا الاطولْ
يا ميجانا .. للجسر. والاغوارْ
يا ميجانا للملحْ .. والثوار
يا ميجانا عمانْ ..
يا ميجانا
والبحر مشهدنا الاخير .. البحر أعمى
والسفائن من جليدْ
ملح .. وتنهد الصواري .. والعيونْ
موج .. ولا موج .. وريح
لا البحر موجود .. ولا قلبي الجريحْ
يا ميجانا غني لاحبابي
يا ميجانا الرايات عنّابي
يا ميجانا .. والريح حمرا .. والأصايل ميجنتْ
والبحر أعمدة الصحفْ
والبحر أدخنة وبيروت الحرائقْ
والبحر جثة أمرأة
والبحر أيتام على طول الطريقْ
يا ميجانا بدأ الحريقْ
يا ميجانا أين المفرّ .. لن يراوحُ .. أو يراوغُ ..
أو يفرّْ
يا ميجانا ولمن يخونْ
يا ميجانا اشتعل الفتيلْ
والبحر فاشّي .. ويغرقه الجنونْ
والبحر أقسى ما يكون .. وما يكونْ
والبحر يصرخ والبياضْ
أصحو ..
وتنهمر الجرائد .. والمقاهي .. والرصاصْ ..
صبرا تخيم في الجسدْ ..
وتردّ لي صوتي .. وتعلن لا أحدْ

باريس معتمة .. وعيدْ
باريس من ورد صناعي .. ومن فن محطمْ
باريس من علب .. ومطعمْ
باريس .. لا منفى .. وغربة شاعرٍ ..
وغريبة فيها
ولا يُبكى عليها ..
باريس .. لا إلزا .. ولا الشاعرْ ..
باريس ماتت قبلة وتموتْ
باريس تنسى أنها فيما مضى .. بيروت ..

يا ميجانا
ـ هل أنت خائفة .. ؟
ـ بلى
ـ هل أنت نائمة .. وبابك مغلقٌ ؟
ـ كلا .. فلا أبوابْ
ـ ماذا يهز الحيَّ ؟
ـ قلبي وصوت القتلْ
ـ من يقتلون الآن ؟
ـ عمي .. وجارتنا ..
ـ من يحرقون الآن ؟
ـ طفلي .. وجدتنا
ـ من يذبحون الآن ؟
ـ خباز حارتنا
يا ميجانا ..
صبرا تعيد صياغتي بيد .. وبالأخرى تقاوم
يا ميجانا .. ليل الوطن
ليل .. وأسلحة .. وابواب مخلعة .. ووقع خطى .. وهمهمةٌ
وأطفال وموتْ

يا ميجانا
أيلول يفترس الطفولة مرة أخرى
و يحتل الابدْ
أيلول يبتلع العواصمْ
وأنا أشدّ من الجليل .. الى الرصيف .. الى الربيعِ
الى الصقيع .. الى الخريفِ
من الصحيفة .. والاذاعة .. للكتابِ
وللغيابْ
وأشد أشرعتي الى يافا .. وفي قلبي صفدْ
لكن أشرعتي تميل
وليس يحدث ما يخيف سوى الرحيلِ
الى الرحيلِ
الى الرحيلِ

يا ميجانا
أمر الدخيلْ
وهم الذين استسلموا .. وتفرجوا .. واستقبلوني
دون أسلحتي .. وهمْ ..
يا أيها الفقراء .. لم تلد العتابا مثل صبرا ..
ميجانا
«يا ميجانا لك» .. يا شاتيلا .. ميجانا
طفل على طفل ينوءُ
وامرأة .. لا تغتصبْ
ويموت في العرب .. العربْ
لكنما ظل المخيم .. لا يموت .. ولا ينامْ
و يظل يرفل بالدماء .. وبالحمامْ
فالليل والدم يبدعان صياح أمي من بلاد الميجانا.
صبرا .. وشاتيلا يا عتابا .. وميجانا ..
يا ميجانا الصبّار .. والزيتون .. والكرمة

يا ميجانا الحنون .. والمرار .. والبسمة
يا ميجانا لحبيبتي
ولشالها الاحمرْ
يا ميجانا .. للفجر بين عيونها .. وأصابعي
يا ميجانا للدهرْ
يا ميجانا .. للقدس
يا ميجانا لشهيدنا .. للزهرة الابسلْ
يا ميجانا الحيّ الذي أقفرْ
يا ميجانا .. القبر الذي أزهرْ

يا ميجانا
أفق .. ومسغبة .. وفي الجسد العويلْ
كل النساء حملن بي .. وحملنني
يا ميجانا .. كل النساءْ ..
جري ربابك في الدمارِ
ومرمري .. ترف الوسائد .. مرمري
وارمي برعبك في قصور الرق ـ فأسا ـ واحفري قبر الممالك .. والمماليكِ
احفري ..
يا ميجانا ..
ها نحن .. من صبرا ..
العين من صبرا ..
والكف من صبرا ..
والدم من صبرا ..
والجرح من صبرا ..
والدرب من صبرا ..
وطني الذي أحببته كان اسمه صبرا ..
ظل اسمه صبرا ..
وعلى مشارفه نوادي القتل ..
وعلى منابره .. فتاوي القتل ..

يا ميجانا ..
يا ميجانا المدن الغريبةِ
يا ميجانا المدن السليبةِ
ميجانا الام الحزينةِ
ميجانا الدم .. والحبيبة .. والسؤالْ
لا تبكها ..
يا أيها الوطن المؤجرُ .. والمؤجلُ .. والمعارْ
يا ميجانا انتظري الندى
يا ميجانا .. رد الصدى
يا ميجانا تدرينْ
أن البنفسج رغم رقته يقاومْ
يا ميجانا .. وأنا حزين
يا ميجانا .. للريمْ

ربما تفتش عن غزال .. والمدينة لا تجيبُ ..
وموحشة
ربما تفتش عن هلال في الليالي ..
أو تفتش عن محالْ
يا ميجانا
لمي على جسدي البحارْ
لمي من الشبك المحارْ
فالفجر عند نهاية الرؤيا .. وأنت بلا قرارْ
«لولا عيونك عالجبل .. ما اطلعت أنا» .. والنارْ
يا ميجانا الفقراءْ
يا ميجانا صدري
يا ميجانا الصحراءْ
يا ميجانا عصفورتي الدورية السمراءْ
يا ميجانا الاسماءْ
يا ميجانا من صورْ

يا ميجانا صيدا
يا ميجانا الدامورْ
يا ميجانا بيروت .. يا بيروت
يا ميجانا فورى ..

يا ميجانا
كأس .. وعاهرة .. ومؤتمر .. وصوتْ
شيء من العتب الصغيرِ
وتطفأ الاضواء من حول الاميرْ
وأنا أراجع ما كتبت .. وما دفعتْ
عبثا يجاهل رحلتي ـ ليلا ـ دوار البحرِ
أو تأتي الطيورْ
وأنا أرد يدي اليّ
يا ميجانا البحر الذي لا ينتهي ابدا
يا ميجانا البرّ الذي لا يبتدىء أبدا
يا ميجانا مدن مدمرّة .. ولا أحدا

يا ميجانا العشاقْ
يا ميجانا الاشواكْ
يا ميجانا .. يا بحر .. رُدّ الشوقَ
رُدّ البحرَ
ـ أين الارض .. أين الارض .. أين الارضْ
فتجيئني رملا .. وتثبت أنها كروية
وأنا أغازل برتقالة ..
ـ ردي العباءة حولنا
فالبحر مفترسٌ
وبردْ
ـ خذني الى زنديكْ
خذ من حليب الوجدْ

فلربما ضعنا
خذني ..
ـ أخاف الورد ..

يا ميجانا الهجراتْ
يا ميجانا «من خلف وما مات»
يا ميجانا
شعر .. ومحبرة .. وبيتْ
حلم المسافر في الرمال .. الى الرمالْ
حلم المسافة بالوصول الى القرى
حلم الجبالْ
حلم الذي يمشي الى حيفا ..
ويكتشف الدروبْ
حلم الذي أبدعته من حلمك الآتي اليكِ
وليس يهرب من يديكْ
حلم البنادق .. والعرقْ
حلم الشجيرات الصغيرة بالثمرْ
حلم العصافير الشريدة بالشجرْ
حلم السماء بصيفها
حلم النخيلْ
حلم الذي حملته موجته الى غرف الفنادقِ ..
والشوارعِ
والاصابع .. والردى
ويصارع الآن الغرقْ ..
حلم اليمامة أن تطير .. وأن تحنّي ريشها بسماء صبرا
الميجانا
يا ميجانا
وطني .. بلا وطن .. وتأخذني البحارْ

يا ميجانا مرّي

شفق .. ويبتعد الترابْ
شفق .. ويقترب اليبابْ
شفقٌ ..
وأنت جميلة كسمائنا
وجميلة كجبالنا
وجميلة كسهولنا
وجميلة
شفق .. ويحترق المساءْ
فلا موانيءَ
أو نجوماً
أو جسوراً
أو هواءْ

يا ميجانا استعري
يا ميجانا انتشري
يا ميجانا لا تقبلي التوبة
يا ميجانا لا تطلقي حزنا بلا حربة ..
يا ميجانا الغربة ..
شجر .. وسيدة .. ونهرْ
وأنا أحب حبيبتي .. وأنا الشتاءْ
«يا ميجانالك»
تحت نافذة يدي تنمو كدالية ..
وبين أصابعي المنفى
ووهم علاقتي بدمي .. وأنت على المدارْ
والبحر من تعبٍ
ومن صخر ضباب البحرِ
أو سجن .. وحراس .. وبابْ
يا ميجانا الاحبابْ
يا ميجانا .. لا تشتري المهزوم .. والكذابْ

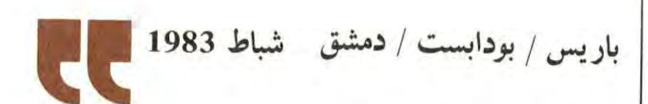
يا ميجانا .. جيل سيأتي بعدنا .. ويغير الاحوالْ

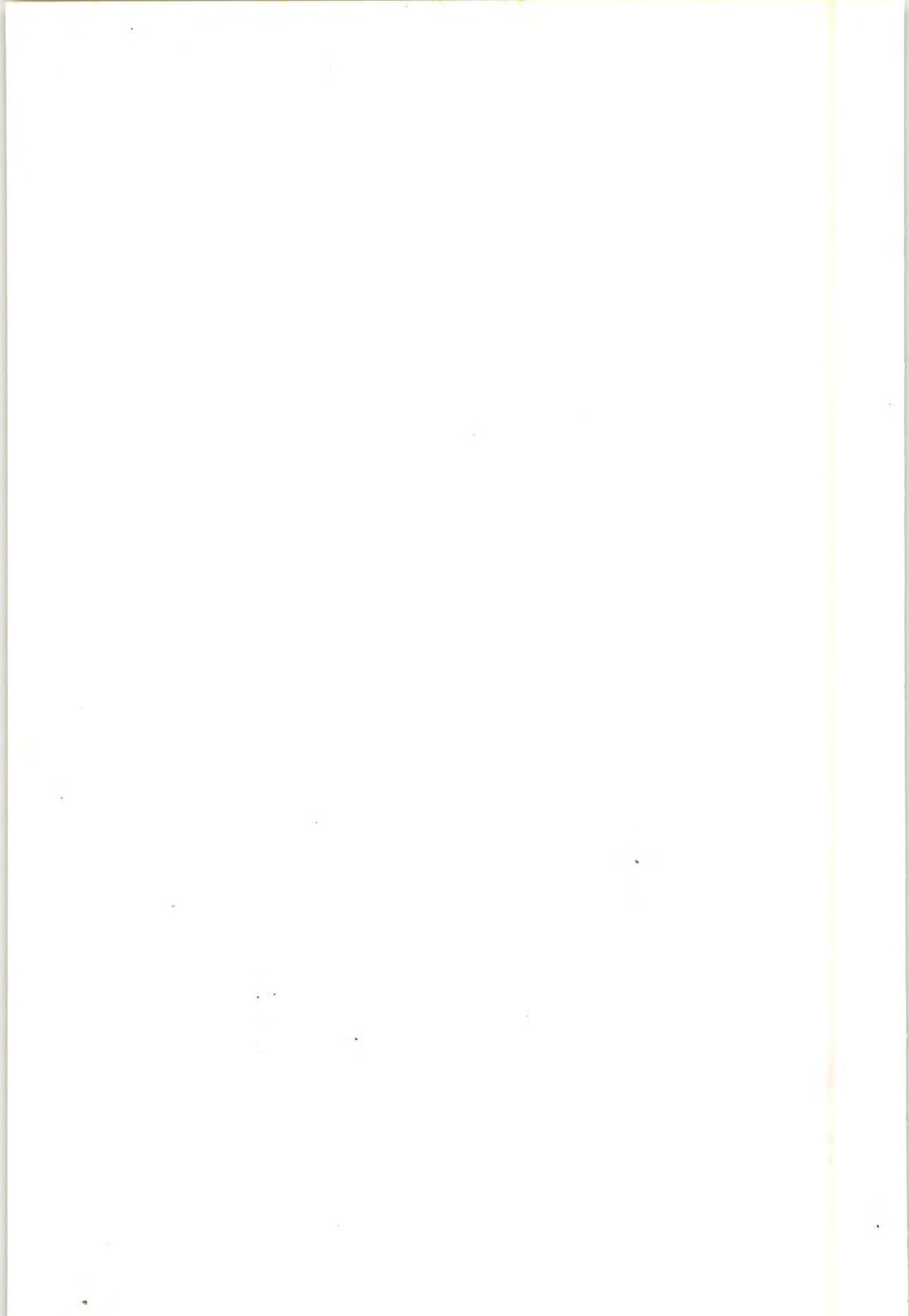
يا ميجانا
ريح .. ولؤلؤة .. وناىْ ..
وحبيبتي قمر وحيدْ
قلبي على القمر البعيد
يدي على الجسد الحديدْ

يا ميجانا
برد .. ومفترق .. وليلْ
والقلب من صدأ .. وخيلْ
وسلاسلي البحر العصي .. وأنت أبعد من يديّ

يا ميجانا للبرقْ
يا ميجانا للرعدْ
يا ميجانا لشتائنا القادمْ
يا ميجانا .. للبحر أنت حبيبتي .. وأنا
وللارض الحصادْ
اني أحبك .. لا يليق بنا الحدادْ

يا ميجانا
برد .. ومفترق .. وليلْ
برد .. ومفترق .. وليلْ
برد .. ومفترق .. وليلْ

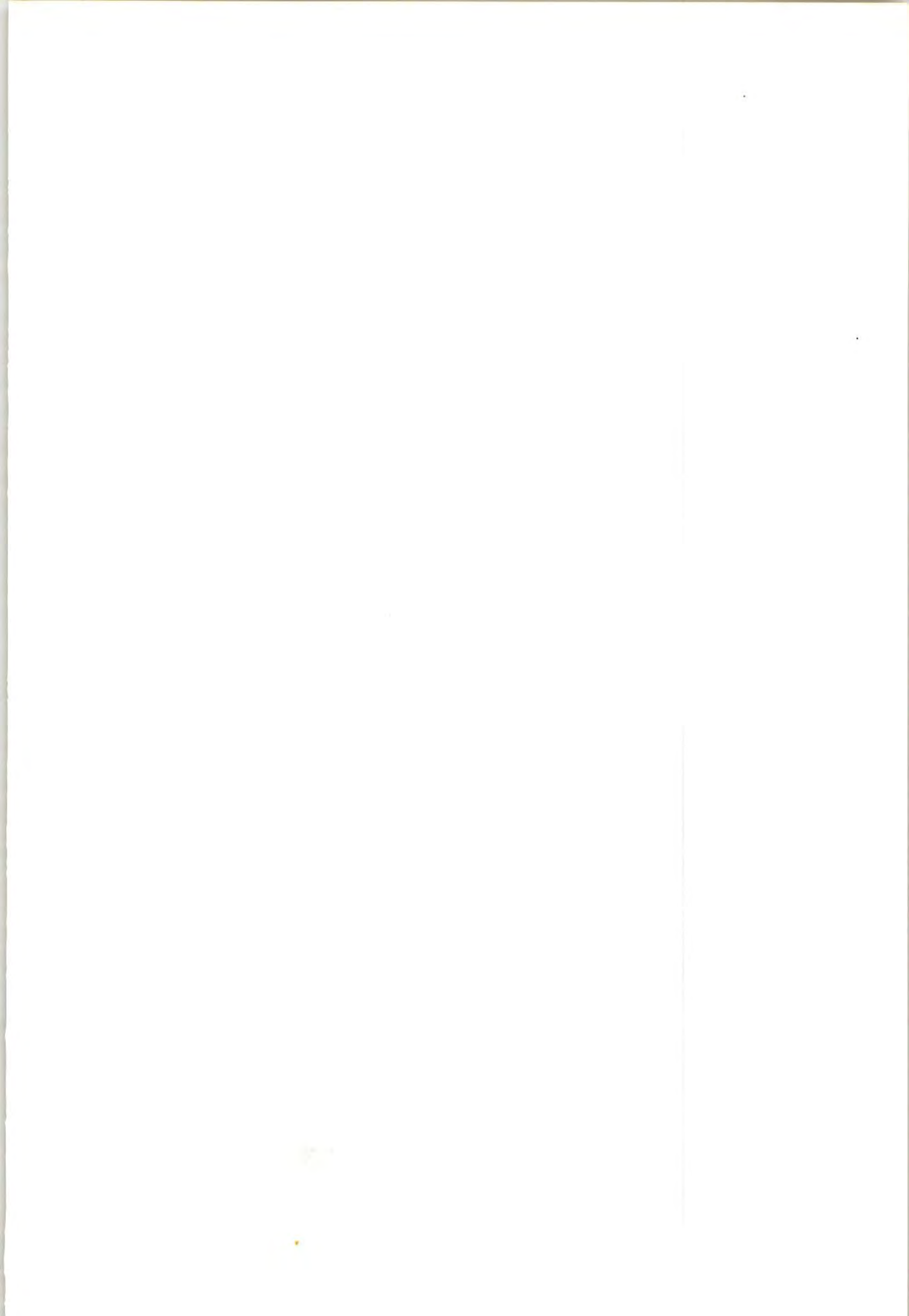

باريس / بودابست / دمشق شباط 1983




أسميك بحراً..
أسمي يدي الرمل

7

المسافة بين غريبين
.. والفتى من رماد



7 المسافة بين غريبين .. والفتى من رماد



فليكن شجرا من تحبين .. أو مطراً ..
فليكن طائراً
وليكن قمرا من براكين تحضر في الموعد المنتظرْ

فليكن سنبلة
وليكن قنبلة
وليكن وردةً
وليكن حربةً
وليكن قبرة
وطنا فليكنْ
سفرا فليكنْ
وليكن محبرة
.. وهو يبدو كمن جاء من شاطيء مثقل بالسوادْ
لعبّادة الشمس يرسل قبلتهُ
و ينادي
يلائم ما بين عكازه .. والنجومْ
فتثقل أكتافه بالهمومْ

آه يا نجمتي الذهبية .. كوني حبيبتهُ
وليكن من وفاءٍ
وصبرٍ
ونارٍ
وزيتونةٍ
وترابْ
وليكن حاضرا في الغيابْ
موغل في الندى .. موغل في العذابْ
والرؤى معتمة
... ...
والتي أعلنت موعدا لم تجيءْ
والتي أغلقت بابها لم تنمْ
وارتدت حالة من سكونٍ
ترامت اليهْ... ...
مرة في الصباحْ ..
مرة في المساء ..
مرة بين .. بينْ ..
واختفت مرتينْ ...
ـ من يكون الفتى .. ؟
من يكونْ ... ؟
هادىء كدخان الغلايينِ
نجم وحيد .. ومتعبْ
ينام كراع على حجر .. أو عصا .. أو وسادة زعترْ
مرغمٌ
والمدينة جوعى .. ونائمةٌ ..
وهو يحلم بالنومِ ..
يمشي .. ويكتبُ ..
يرسمُ نوما عميقاً .. جميلاً
ويلعبْ ..

ويفتح عينيهِ ..
لا شيء غير الظلام .. وغير الحطامْ
فيشعل سيجارةً
ثم ينصت لليلِ
يسعلُ
يؤنس وحدته بالسعالْ
ويحزن اذ تحتويه الظلالْ
ويدخل في لغة لا تقالْ

انه الآن يجمع أوراقه في يديه .. ويرحل في جلدهِ
وهو يكبر .. والبرد في قدميهِ
فيشحب من ألمٍ .. وسؤالْ

فليكن شارعا ضيقا .. ويتامى كثيرينَ
أو فليكن عالما واسعا .. شاسعا كالقصائدِ
والفنِّ

والخطوة البكرِ
والرعشة البكرِ
والقبلة البكرِ
أو فليكن جسدا وادعا كالشهيد المندّى
من النهر للبحر .. يرصفنا ..
واحدا .. واحدا
ليقوم ويمضي .. من البحر للبحرِ
يلقي علينا السلامَ
ويرشقنا بالحمامْ ..

ها هو الآن يضحك من ذكريات الطفولةِ .. والعشبِ
يرتد طفلا وديعاً ..

ويقلع للناصرة ..
كم سيبكي اذا عذبته الحبيبةُ
أو أوجعته الشظايا .. وأنكره الأصدقاءْ
ويخجل لو غازلته النساءْ
وتضحك منه الصبايا
فينهض من حزنهِ
ثم يمضي على مهله
ويعود الى أمه ذات فجرٍ .. ليسألها المغفرة

مر بي في الاصيل خجولا كعينين من عسلٍ ...
واختفى في الزحام ..
كلوز البراري .. شقيا .. ومُراً
ويأكل من كمهِ
حين يبكي على أمه في الحواري
ـ أنا أشتريها بعمري ..
وأفدي شجيراتها .. لتنامْ

مرة جئته
مرة جاءني ..
والتقينا على مفرق في الزوالْ
قال :
ـ اني مغادركمْ
قلت :
ـ أينَ ؟
فقال :
ـ الى الرمل .. والبحر .. والريح .. والبرتقالْ
زهرتي ناطرة
في مروج الشمالْ
قال هذا .. وعانقني .. وتسلل عني وغابْ

وخلّف لي دفترا .. وربابْ
قلت للقلب: همسا .. نشيدا .. وأطعمتهُ
ـ آه .. كونا غريبين عن لغة الصوتِ
كونا غريبين عن صورة الموتِ
كونا قريبين .. واختلطا في دمي .. والنبيذْ
قلت: لا .. للمراسي الرخيةِ ..
كونا على هجرة دائمة ..
أو فمرا باسئلة البحرِ ...
مرّا بأجوبة الذاكرة ...
قلت: لا .. للسدى .. والصدى .. والدويّ
ومرّا بقريتنا بين حينٍ
وقوسٍ
ومئذنةٍ
وقبابٍ
ومقبرةٍ
وسرابْ ..
أو فكونا الاشارة بين الرحيل .. وبين الايابْ
كعنّابة برعمت في الضبابْ

انني الآن اكتب وجهيكما بالمواويل .. والريشِ
ارسم وجهيكما .. بالمناديل .. والموج .. أو بالبكاء
واكتب اسمين لامرأة .. وفتى .. في الحدادْ
وشكلين لامرأة .. وفتى .. من سهادْ
ونارين لامرأة .. وفتى .. من رمادْ
ـ مرحبا يا فتاي الشريد
ـ سأنشر غصنا من اللوز بين حبيبينِ
كي يعبراني اليَّ ...
وأنصب بيتا من الشعر كي يسكنا .. ويناما ..
ونافذة من سماء .. وصيفٍ ..

ويختا من الوردِ ..
أبدع من جسدي جزراً لا تعدّ .. ودافئةً ..
ثم أطرح ثلجا نقياً ..
وكأسا من الخمر .. لاثنينِ ..
اخلق ليلا قصيراً ..
وسقفا من البرق .. كي يفرحا ..

انني الآن أرقص للصبح بين ذراعين من ألم لا يحدّ ..
وبحرين من تعب سرمديٍّ ..
فأجرح قلبي ..
وأكتب في دفتري شجرا عارياً .. وسماءً
وحربا ستختم بالنصرِ
وأكتب بعض الرسائل للاهل .. في قريتي الجبليةِ
أشرب ماء .. فأعطشُ ..
لكن نافذة كالوطنْ ..
اذ تطل .. تمرر لي نسمة .. وضياء .. وكفا .. وغيمة وجدٍ ..
فأفتح نافذة في الحجرْ

قلت أزرع خروبة في الطريقِ
وأطلق رف الكناري الصديقْ
وأقفز للنهر .. بين شراع .. ومقصلةٍ ..
فيراني العدوّ الذي خلف ظهري ..
يراني الذي من أمامي ..
يراني الذي في ثيابي ..
فأسقط في المجزرة ..

كان يرسمني صاحبي في الدروب التي أبعدتْ
رحت أصعد ..
ـ طوبى لكم أيها الغرباءُ ..

وطوبي لصفصافة الحبّ .. طوبي لهذا الشتاءْ ..
وطوبي لمن ودعتني ..
وحلت ضفائرها .. ثُم لم تلتفت خلفها ..
واحتواها الفضاء ..
وطوبى لكل النساء اللواتي انتشلن عذابي مع الماءِ ..
طوبى لحزني ..
وللبحر .. طوبى ..
وللريحِ ..
طوبى لصحراء قلبي
طوبى لهذا المساءْ
وطوبى لفيروزتين .. ورمانتين .. وتفاحة واحدة
شمسنا واعدة ..
والاغاني ..
فطوبى لمن قرأتني قبيل الكلامِ
ومن علمتني القتالَ
ومن علمتني الكتابة
وطوبى لمن أدهشت فيَّ هذا العجوز المجربَ
من أضحكت في طفلا شديد الغرابة
وطوبى لمن واكبتني الى النهرِ
والجمرِ
والقهرِ
طوبى لمن عمرتني بها .. واغتنت .. بالفقيرْ ..
وطوبى لهذى الصحارى .. وذاك النخيل ..
وطوبى لعاشقة في المنافي ..
وعاشقها في الجليلْ ..
بعد .. طوبى لخاطرة تتحول في الصمت أرضاً ..
ووعداً ..
وسهداً ..
وخيط حريرْ

فطوبى لنا أيها الفقراءْ

نداء .. نداء ـ نداء نداء .. نداءْ

جدول من دماءْ
أبحر من دماءْ
وألتقط الصوت من رفّتينْ
وأرمي بكوفيتي في الحريقْ
وأزرع أجنحة في يديَّ
وأمضغ خبزا قديما .. ومراً ..
وأحمل سكرة للطريقْ
فالقاك في جسدي تخبزين
فنقتات من بعضنا
وينام الهجير

ـ هل ترى شئتما ـ أنت والحب ـ أن تدركاني قبيل مغادرتي ؟
هل أنا واهمٌ ... ؟
أم تراني أغني لنفسي في عزلتي ؟
أم تري أنت قادمة في الاغاني التي لم تقل بعدُ ؟
أم في النهار الذي سوف يطلعُ ؟
هل أنت قادمة في النعاس الذي سوف يأتي
وفي الحلم العربيِّ .. ؟
وفي المرأة المبهمة ..
ـ هل أتابع أسئلتي ؟ ـ
أم ترى أنت في سفر غامض .. كالمسافة بين غريبين في غربتين ..
أم أنك موجودة ضمن ظلي ..
وبين جناحيّ ..
أم أنت نرجسة في شتائينِ
والحب زنبقةٌ ..

وأنا مشرع في يديّ

ـ هل أحبك ؟
لكن يافا تحبك أكثر مني ..
لأنك أودعت سر اغترابك فيها بلونين من برتقال ..
ودمْ ..
وكأسين من دمعتين .. وهمّْ
وأحببت فيها المغني

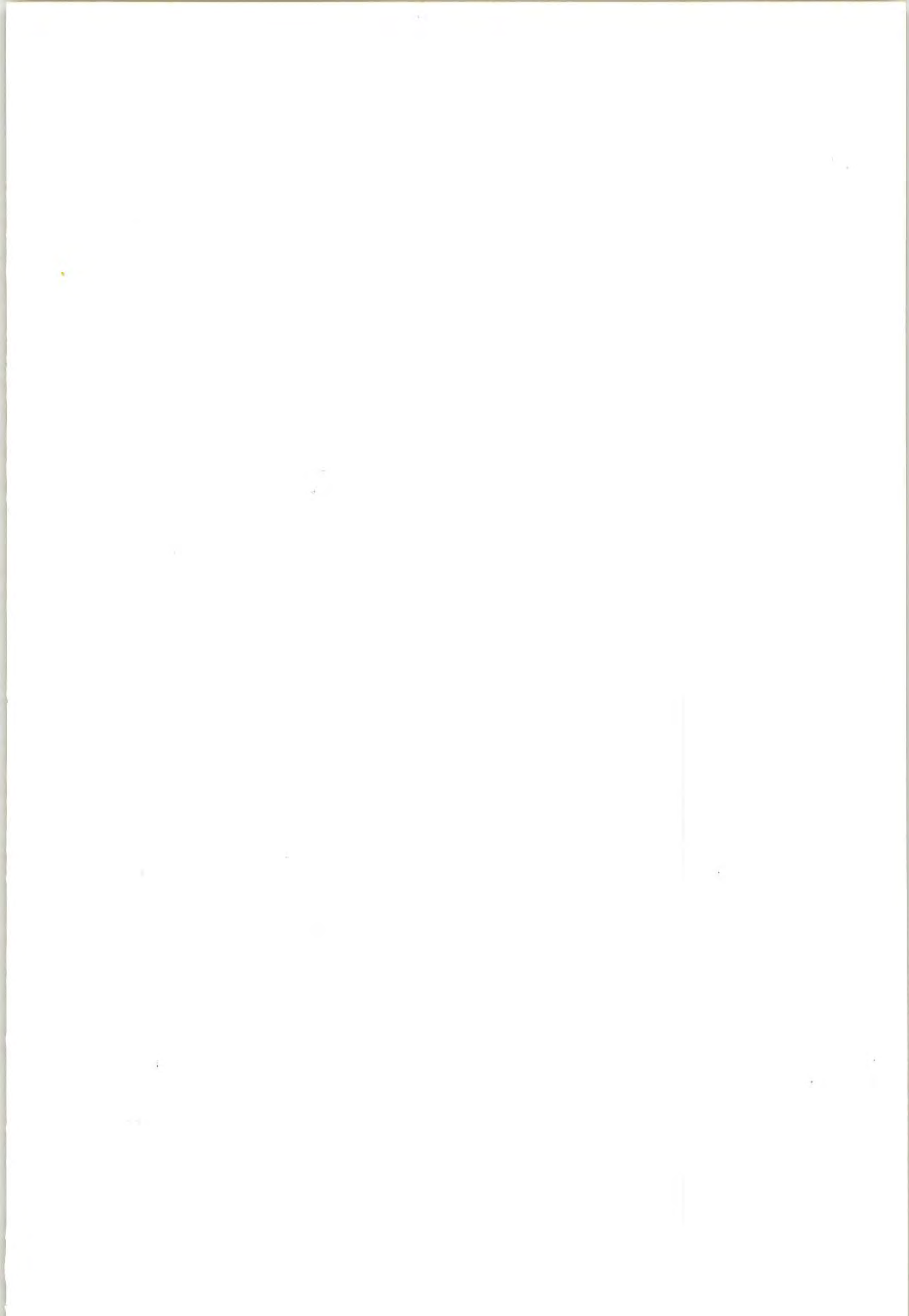
ـ أحبكِ
من أنتِ .. ؟
هل كنت قبل ثلاثين
أم جئت بعد ثلاثين
من أين ؟
هل من كروم الخليل .. ونبع من الشوق لا ينتهي ..
ـ أم ترى جئت من زهرة الحزنِ ؟
ـ آتيكَ من أول الضوء عبر السراج الاخيرِ ..
ـ وها نحن نولد بعد ثلاثين ..
أو نلتقي ..
ـ والمرايا دم .. يا حبيبتي .. دمٌ
والمدنْ ..
في المدار الموانىء محروقة والسفن
آه محروقة .. والسفنْ ..
آه محروقة .. والسفنْ ..
آه محروقة .. والسفنْ ..

دمشق 1984/1/8


أسميك بحراً..
أسمي يدي الرمل

8

رسالة إلى ليلى الجنوب



8

رسالة إلى ليلى الجنوب

تجيئك نجمتي كالطفل .. ياليلى
ومن حلم الكتابة باللغاتِ
ومن دم القلب الجميلِ
وحلم ليلى لم يضيء .. ابداً
ومن رملٍ
ومسغبةٍ
وريش شجيرة في الريحِ
من وجع شتائيٍّ
ولون حمامة ذبحتْ
ومن دوّامةٍ
وضجيج قاطرةٍ
وظل بكاء
ـ أحب البحر .. والصفصافْ ..
ـ أحب الشعر .. والأصدافْ ..
ـ أحب الليل .. والأعشابْ ..
ـ أحب الرقص .. والصبارْ
ـ أحب منارة في البحر لم أرها

ـ ولم أرها
ـ وأرغب أن أعانقها
ـ وأرغب أن أراقصها
ـ أحبك .. خذ يدي .. خذني .. وخذ فرحي ..
ـ حذار فانني جبل من الأحزانْ ..

تجيئك نجمتي يا ليل حبلى من مدار النارْ
تجيئك نجمتي .. فجرا .. وْعاريةْ
سوى من وهج دالية فلسطينيةٍ
تأتي الى عينيك .. من عينين متعبتينِ
أو سفن مغربة بلا ميناءْ
ومن ورق يشكل نفسه في الشوقِ
والزيتونِ
والدفلىٰ
ويبحر مساء الماءْ

.... وشيء بيننا ينمو كتفاحة
ولؤلؤةٍ
ويصقل كالأسىٰ والماس
شيء ساطع كالشمسِ
نخل واعد .. ورذاذ أمواج .. وأغنية .. مدى .. مهر بلون الثلج .. يطلق نفسه في المرج عاري الظهر مهر جامح .. هذا الذي .. ما بيننا ياليل .. والساحة غاب من الأزهار .. والحراسْ

ليلى ..
ونعبر شارعا .. وحديقة ما بين عاصمتينِ
أو نهرين من وجد .. وقافلتين من تعب .. وخاصرتين من غضبٍ
ونعبر بين مسألتينِ
أو سجنينِ

يربط بيننا جسر من النارنج .. والاقمارْ ..
ونعبر نحو غابتنا
ونبكي برهة .. ونسير في جهتينِ
ثم تعود أيدينا .. لأيدينا
فنفتح في المدى الثلجي نافذتين
ونطلق نحو حزن الأرض .. عصفورينْ ..
ـ .. وتأتي نجمتي ياليل من مدن معذبةٍ
ومن سيف .. ومن لهبٍ
ومن خيل محاربةٍ
ومن جزر بلا أسماءْ

هنا شجر نحاسيّ
وشبه مدينة .. وزجاج أغنية .. وأدخنة .. ووجه ساهمُ
وأنين ساقية .. وجوع سادرٌ
وأريج زنبقةٍ
وزفرة عاشق في الليل .. والصبارِ
منديلٌ
وقنديلٌ
وموسيقى
ونخب أميرة غجريةٍ
وصديقةٍ ..
وصديق عمرٍ
نخب من حضروا
ومن غابوا
ووقع خطى على الاسمنت .. مؤنسةٌ
ووقع خطى على الاسفلت .. موحشةٌ
هنا أصغيت بعض الوقت
ثم قرأت بعض الشعرِ
بعد هنيهة دخنت ربع لفافةٍ

وغفوتُ
كان الحلم بين عيوننا .. كالطير .. أو كالخيلِ
ثم صحوتُ
جاءت نجمتي .. فبكيت من فرحٍ
ومن حزنٍ
وفرت من يدي .. ياليل .. أنت حبيبتي .. وجميلتي مذ كنتِ
رفت نجمتي في القلب .. وارتحلت الى عينيك
ومن أعصابها تأتيكِ
من شجر يكوّن نفسه في البحرِ
أو شوق يجمع نفسه في الصبرِ
أو صدر يرد الموت بالاصداء
ونحن الآن بين ضفيرة من فضة .. وشذى .. وشبابة
وفوق تراب خاطرة من العشبِ
وتحت سماء عاصفة شتائية
وتحت شجيرة قمريةٍ
وخريف أسئلة رمادية
وعند رصيف أغنية سديمية
وقهوتنا
لها طعم من الطرقاتِ
والانهارِ
والغاباتْ
وأنت الآن بين قصيدتي .. وهواجسي .. ورماد أحزاني
ومقبلة على قلبي
ومقبلة على الأسفارْ

ومن عطش تجيئك نجمتي كالسيلِ
أو تأتيك عاصفة على أيامنا الغبراء
– يا ليلى –
ويا بوابتي في الغيم .. والصحراء

رديني على أكتاف قريتنا
وردي للندى عطشي
مسافرة عيوني في الردى
يا زهرة الصبارْ
وللكلمات متسع من الآفاق في الجرحينِ
للجرحين متسع من الأعماق في الجسدينِ
للجسدين متسع من الاشواق في العينينِ
للعينين متسع من الاشواق في الافقينِ
للافقين متسع من الآلام في المنفى
وللمنفى على الوجهين .. نافذتانْ

أحب سماءك الزرقاء
ووجهك في الندى .. والشمسْ
أعشق أسمك الشرقيّْ

وهازمني .. يجيئك مرة في العمر
أرشق من سنونوة .. وأغني من ذرى الأعصارِ
من تعب الكتابة .. والتشرد .. نجمتي خرجت اليكِ
وأنت وحدك من كتبت لها الاغاني منذ فجر قصيدتي .. أو كأسي الأولى .. ومطلع غربتي
.. ودمي .. وأمطاري .. وبعد تشردي .. أو أنت وحدك من حلمت بوجهها قمراً ..
وفاكهة .. وغابة ياسمينٍ
خمرة من ألف عامٍ
نجمتي خرجت اليك
وأشعلت شمعاً
ومدت بيننا طرقا من الشجر الحزين .. وأنهراً كالبرقِ
والمنفى كتاب مغلق الكلماتِ
والرمل الحريقْ
زمني على صدر الطريقِ
يدي على القلب الغريق

دمٌ
وأفتقد الصديقْ
ليلٌ
وفوق مرارتي تمشي الجيوشُ
فارتدي قدري .. وسترتي القديمة .. والمحابرَ
ثم أعبر بين أسئلتي .. وبينك ..
ألف مذبحةٍ
وبحرٌ
وارتحال حمامة في صوتها
والرملُ
والمطر الحزينُ
وأنتِ
والسفر الملّوح باليدين .. وبالبنادق .. والتلالِ
وصوت ذاكرة من الليمون .. والقتلى
ويجمع بيننا دمنا
وشيء غامض .. كعذاب موج البحر .. أو كعذاب سنبلة .. ومرحلةٍ
وشط ساطع .. وضباب أمسيةٍ
وأزمنة بلا حدٍّ
وايقاع على قلبين .. أو جسدينِ
أو طيرين من شفقٍ
أصابت منها الطلقات جرحا مزمناً
ـ .... ـ وأود لو أبكي ـ ..
أحبك .. آه .. لو أبكي
اكتبي في الدفتر الغجري صورتنا
نحب القهوة العربية السمراءَ
نهوى الخيلَ
والسفر العصيّ الى شغاف الأرضِ
نعشق خمرها الوردي
نحلم أن نربي قبلتين حميمتين .. ووردتين شجاعتينِ

وان تكونَ لنا الشوارعُ
والحدائقُ
والمعابرُ
والازقةُ
والمدىٰ
أو نكون لشمس يافا ضوءها
ونكون أمطارا على السهل المعذبِ
أن نكون حجارة الطرق التي ذهبت الى الوطن الفلسطينيِّ
أن نغدو على الصخر المضيء شقائقا
ونكون موسيقى لموال يعود الى الحناجر ذات يومٍ
ان نساوق بين دبكتنا وعرس الحب ..
ـ ياليلي ـ
ارسم في صفحة الصفصاف قصة عاشقين .. وخاتمينِ
وصوّري فرحا بميناء يجيء اليه بحار
تشقق وجهه من شدة التحديق في الافق المساومِ
وافردي لحبيبك الرحال أجنحة الفراشة
ـ متعبٌ ـ
ويعود قلبك من تشردهِ
ووجهك من مشقتهِ
وآتي الآن
نجمتنا معلقة على ظمأٍ
وتعدو بين خارطتينِ
بين شفاهنا .. والليل .. والاحراشْ ..
وأعدو بين أسئلة .. وأضرحة
وبين سحابة .. وحصىً
وفي زمن رماديّ
يمد جناحه ومداه في رئتيَّ
لكني أشد الحلم بالشفتين .. والكلمات .. والجسدينِ
أصعد سلما .. ويدينِ

أصعد باتجاه الضوء .. والعينينِ
أصعد هاجساً
فيهدني تعبي .. ويأخذني السدى .. والليلْ

ولا تدرين أين نكون فيما بعدُ ؟
أين نكونُ ؟
والحلم الذي كبرت ملامحه .. وقامته .. يشد رحاله معنا ..
واذ تبكين .. يبكي القلبُ
ثم يجرني للصمتِ ..
أو للموتِ
أدخل بين وجهينا
الجبال ترد لي سمتي
الصدى صوتي
الصدى عمري
الصدى طير .. وأسلحةٌ
وخبز حزينة .. وندى
وأزهارٌ
وحبر مطابعٍ
صدأ على الطرقات .. بين مدينة منفى
وبين مسافات قصرت .. وان طالتْ
وبين الدارِ ..
والاغوارْ

تجيئك نجمتي ياليلُ ـ
يصعد للسماء البحرُ
يصعد في مدى عينيك أسئلة ..
وأجوبةٌ
وأشعاراً
وأمطاراً

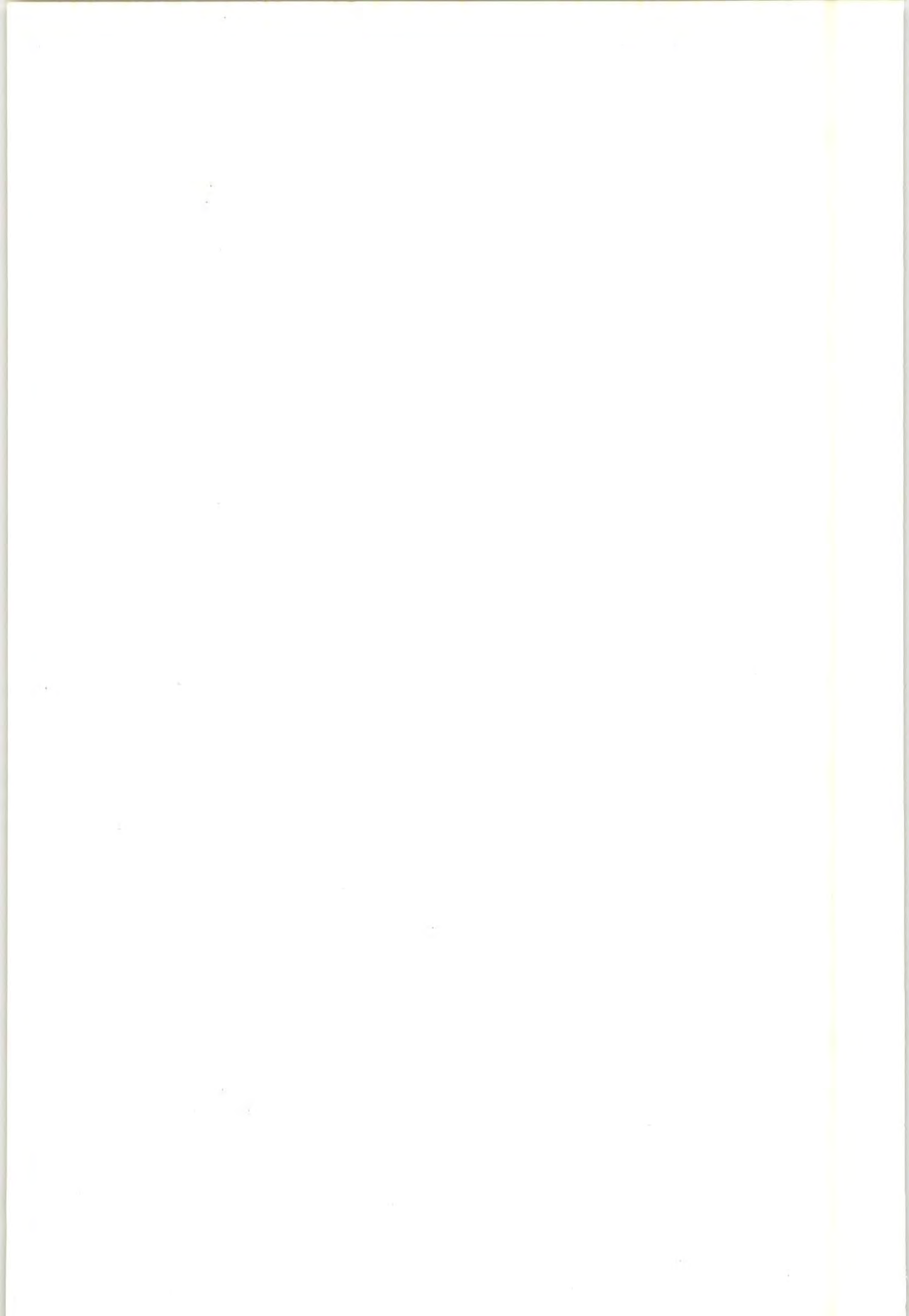
وضوءا من نسيج الروح .. والاخطارْ
يملؤنا
ويحملنا .. الى وقت يبرعم نفسه في الخيل .. والاشجارِ
والدنيا على شفة من الابحارْ
مذ كنا على قطبين من أحلامنا .. والأرض والاصرارْ
اذ نمشي الى قلبي .. وقلبك .. دون أن نلوى على جرح يساورنا ..
ولا نأتي الى وعد رماديٍّ
وليس يفرق القلبين غير الموتِ
ـ يا ليلى ـ

ـ أحبك
فاصعدي جبلي
فبين عيوننا سغب
وبين شتائنا .. والصيف .. مركبة من الاشعار

واذكر انني يوما أعرت عباءتي للنارْ
فأشرق حولي الرملُ
وأطلع زهرة الصبارُ
وأطلع غابة .. ودما .. وأسراراً
هتفت :
ـ حبيبتي
يا أيها الفقراء
تلك عيونها ..
وجبالها
وسهولها
ودروبها
من بين ألف صبية .. ميزتها
ليلايْ

وأنت الآن أبعد من مدى الكفين والقدمين
أنت الآن بين الليل .. والصحراءْ
أنت الآن في أفق من الأنواءْ
أنت الآن بين العسف .. والارهابْ
ولا أحد سواي .. وأنت يا ليلى
سيفتح مغلق الأبوابْ ..

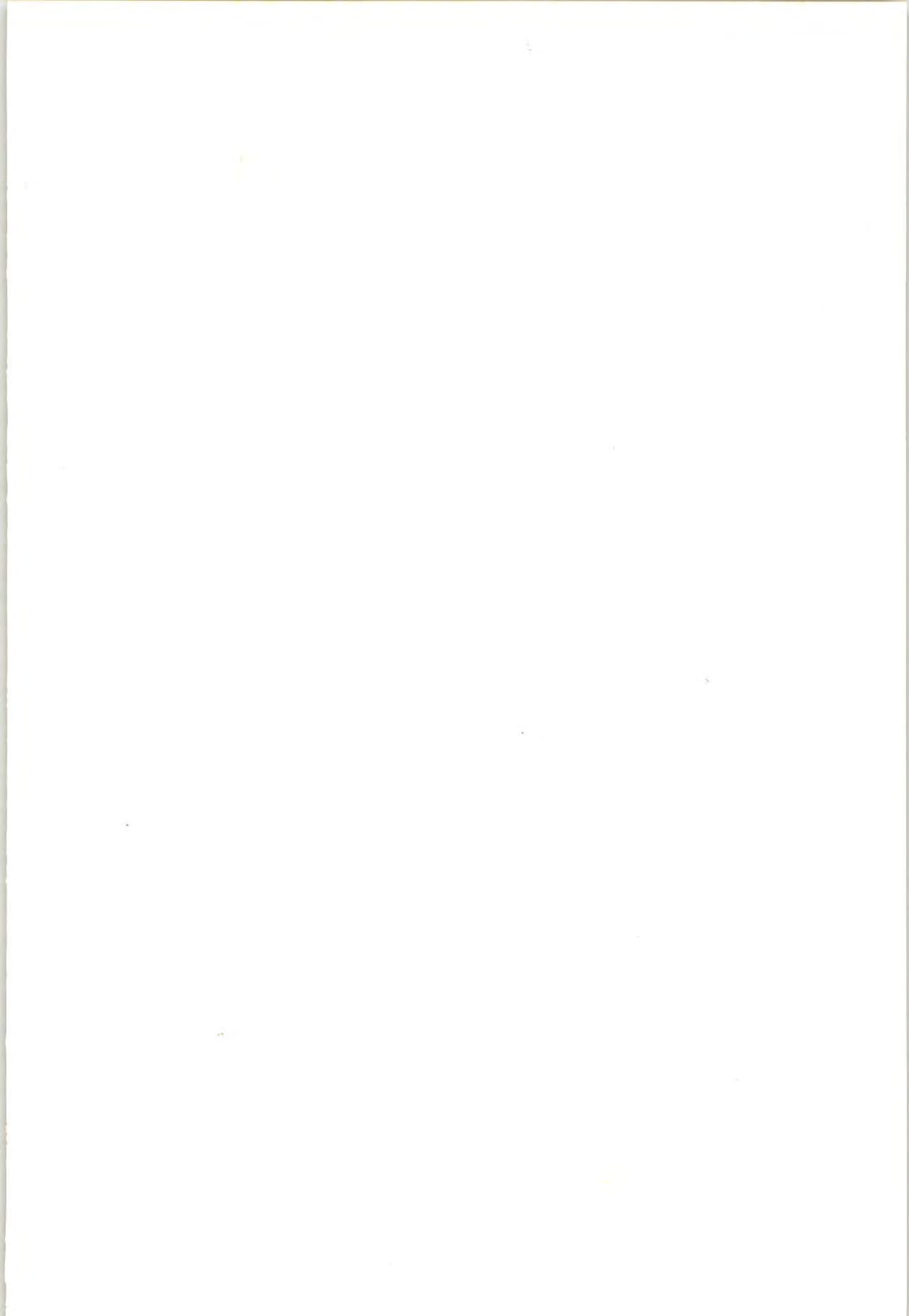





أسميك بحراً..
أسمي يدي الرمل

أحزان الأيام الأخيرة

9



9 أحـــزان الأيـــام الأخـــيرة



أنت لا تدرين من أي المواويل تجيئين الى القلب .. فيبكي
أنت لا تدرين في أي العذابات تقيمينَ ..
ويأوى الوجد ..
في أي المرايا ترحلين الآن .. من وجهي
وفي أي المطارات تنامينَ
ومن أي القطارات أنادي ..
ـ مُرة حلوى الدكاكين .. وأعشاب البوادي
عسل الصبرِ
وأيام المناديلِ
وطير الزعتر الجبلي .. مرٌّ
فوداعاً
لحصاد الشجر العاقرِ ..
والعرض الغبيّْ

ايه يا عبادة الشمس .. وداعا .. لمراسيم الجنازات .. وللقمع .. وداعاً
قدمي ينحل في الغربةِ
والريح تضاريس دروب .. وقلوب .. لا تؤوبْ

وأنا أجتاز عينيك الى سمت الغروبْ
متعب ترتاح في قلبي فلسطيني .. وأنتِ
بينما أفضي من الحزن .. الى الحزن .. الى برّ الدفاترْ
شجر الكبريت في عينيَّ
وامرأة من الشمع المسلح بالمقاصلْ
انه الميلاد في جرح سماويٍّ
وأشجارٍ
وليلٍ
وعتابا
وترابْ
انه منفاى في جلدي .. وأشعاري .. ووجه دمي المغامر في تفاصيل اليبابْ

أنت لا تدرين من أيّ البلاد أتيتُ
أو أي البلاد تريدني
وتردّني
لشوارعٍ الوهم المخاتل .. والسرابْ
فوداعاً
أيها المألوف .. والعاديُّ ..
أو يا أيها المسكون بالتبغ .. وبالخمر الرديئة .. والخرابْ
ووداعاً ..
لطيور خلعت أجنحة البرقِ
وللقهر ..
وغدر الاصدقاء
ووداعا .. لجدار الكلماتْ

ـ ايه يا عبادة الشمس .. ويا رمانة الشعر .. أسميك يديَّ
وأسميك دمي
وأناديك اليَّ
أعبري جرحي .. ونادیني ألبي

انني آتيك من مدن محرّمة .. وقلبي
مشرع للضوءِ ..
والبحر مواويلي .. وأنتِ
جسد منكسر في الشمس .. والوقت رصيفْ
وأنا أمشي بلا ظلٍّ
ووجهي جبل يبحث عن منفىً
وورد
ودوالي
وأنا أبحث عن منفاي .. والوقت خريفْ
ورقي يسقط في كأس نحاسي ..
وطاحون
وواد
وعصابْ
وأنا أسقط في لون الغرابْ
عشبة من فضة الموتى .. ومن بوح العذابْ
هاجسي .. ومض .. وكثبان من الملح .. وحنظلْ
قادم كالمعدن البارد .. والحزنِ
وكالخوف من الموت .. أغانيِّ
وكالطير الذي يسقط في البحر
وكالبحر الذي يخرج للبرّ غريباً
آه .. كالماء الذي يرحل في الغيم بعيداً عن تخوم العطش المكسور بالوهمِ
أغانيّ .. كايقاع رمادي .. على القرميدِ
أو تأتي أغاني كأصداء العصافير الذبيحة

سنة أخرى .. وحيفا لا تضيءْ
ليلة أخرى .. ويأتيني الصقيعْ
لحظة أخرى .. وينساني الحنينْ
وقميصي من زجاج مرهف الاعصابِ
والصيف بعيدْ

آه يا ذاكرة من القمحِ
ويا طعم الحديدْ
لحظة أخرى ومشنقتي ردائي
انني أرتجل الآن التنائي
وأسميك سمائي ..
فخذيني
ـ هل ينادي البحر أحزاني .. فأمضي
ربما يقذفني الموج الى الموج .. فأزهرْ
أيها البحر أغثني
فأنا الآن اليك
وأنا يا بحر أدعوك صديقي .. ورفيقي
حيثما تمضي اتخذني

يا خليليَّ ..
ويا صوتي المدمّى
ذهب الجثمان للورد وحيداً
وتناولت من الورد الحجارة
ثم واصلت اغترابي ..
مرة أسئلة الصبار .. والأرض .. وشطآن النعاسْ
مرّة أضرحة الباقين .. والنهر الحزينْ
ايه يا عبادة الشمس .. ويا زهرة الأصيلْ
مرة ثرثرة الشارع .. والعمرِ
وطلع النخلِ
والورد .. مريرْ
مرة تلك المواعيدُ ..
ومرّ قمر الصحراء .. والخبز .. وكأس الخلّ .. والماءُ
وتأتيني صباحا .. ومساءً
فأوافيها على وعد قديمْ
كانت الصحراء توقا .. وكتاباً

فغدت بئرا صديدياً
وصدتني الى الظمأ الأليمْ
انني أومىء للرمل .. فيرتد اليّْ
عازفا لحني الشجيّْ
أيها الموت الذي يأتي على مهل .. ولا يأتي تقدّمْ
انني أتيك يا موتي الحميمْ
فوداعاً
ضاقت الآرض .. وأطفالي يضيقون .. وأهلي
تاجروا بالريح .. والعَتمةِ
والليل طويلْ
ايه يا عبادة الحبّ .. طويلْ
وأنا أسألك الليلة عن عمر جميلْ
فأنا مشتعل بالرغبة القصوى على حدّ الصهيلْ

السماءُ
القصفُ
والموتى
وأشلاء فراشات على السفحِ
وزهر برتقاليٌّ
ورُمانٌ
وملصقْ
وقع أقدام على الصدرِ
وجنزير على صدر المخيمْ
ودخان في مدى الساحة طين راقص .. حطب يغني
وأنا أعدو على الشاطىء مذبوحا ..
وأعدو ..
موغلا في البحث عن ذاكرة الصيف الشماليِّ
وعن وجهي الشتائيِّ
وعن جدول ماءْ

موغلا في البحث عن قهوتنا المرّة .. والدرب ضريرْ
حجر يشرب من قلبي .. ويلقيني الى البحر .. فأصحو
كأسي الآن وحيدْ
وعلى طرف الجرح كتاباتٌ
وآثار جناح .. وجريدة
وعلى الرمل قصيدة
وبقايا قلم .. من ألمٍ
وشظايا شمعدانْ
وأنا أبتعد الآن .. ويقصيني المكانْ
كلما أدنو تغيبينَ
فمن أين الندى يأتيك من بعدي
ومن أي الصحارى ..
فاجأتني زهرة الصبّار في ثوبك أو عرى العذارى
ورقي أعمى .. ومنفاي دمائي
آه من ذاكرة الرمل .. ومن جرح الرحيلْ
قاصر كفي .. وقلبي لغة ضيقة الصدرِ
وفي عينيّ أحلام عن النومِ
وعن طقس مطيرْ
قاصر خطويَ عن جسر .. وبابْ
كلما أدنو .. يضيعان .. فأبكي ..
آه .. يا جوّابة الشعر الغنائي الذي يأتي مع الليل .. أغنيكِ
وأشتاق اليكْ
وأخبيك عن العصر الغبيْ
يا بلادي ..
آه من شمس .. وأيام .. ومحتمل .. وطيرْ
آه من وعد بلا جسدٍ
ومن جسد بلا وعدٍ
ومن زبد المساءْ
غابة ـ تنأى ـ من المرجان .. أغصان من القتلى

وأجوبة من الحجر الغشيمْ

ايه .. يا عبادة الشمس .. أخليك ورائي ..
وأوافيك أمامي ..
فوداعا .. للمساء الحامض البارد .. والوجه المهدّمْ
ولقاء .. لعذابات المخيمْ
آه .. يا ليل الغلابا
بالذي كان من اليتمِ .. وكانْ
والذي أسرى بروحي للزمانْ ..
والذي أثقل كتفيّ طويلاً
والذي أبدع في القلب المواويل .. وأبيات العتابا
سوف أبقى الخالد .. العاشقَ
لكن القصيدة
خرجت عني .. وألقتني اليّ
وهي تغدو الآن كالحن الوداعي الأخيرْ
وهي تلويح يديّ
حيث لا شيء على الأفق الضبابيِّ
ولا الموت .. يقينْ
حيث لا شيء على أفق الدماءْ
وأرى الموجة في محنتها .. محض هباءْ
ولذا أسألك الآن العزاءْ

جسدي منسلخ عني .. وأسمائي
وأحبابي
وتاريخي
وقبري
وأنا منسلخ الوجه عن الزيفِ
ومشتق من القتلى الجماعيينَ
مشتق من الشقيق .. والصبارِ

منشق على الزمن المساومْ
وأنا الآن صبيٌّ
وأنا الآن نبيٌّ
وأنا الآن أناديك .. فرديني اليّْ
رافعا صدري الى صدر النهايات البعيدة
حيث ألقاك .. وتلقانا النوارسْ ..
والفوارسْ ..
ان ما يبعدنا الآن عن الرحلة للموج المسافاتُ
وما يفصلنا الآن المراراتُ
فغني لي .. لأنهض

ـ آن أن نبتدىء الخطوة من صفر البداياتِ
ومن وهج الشمس .. وحتى المستحيلْ
آن أن نشعل في العتم القناديلَ
وأن يبتهج الفخّار .. بالخمرِ
وآنْ
يا شقيّ الطرق العرجاء .. والوسطى
وآنْ
أيها الخارج من رحم التوابيت .. ومن عصر اليباسْ
أيها الخارج من غمد التجاريب .. ومن جرح النحاسْ
أيها الخارج من دوامة العقم .. ومن حد المقاصلْ
آن أن تخلع عنك العوسج المرَّ
وأن تحرث في البرِّ
وآنْ
أن تصد الليل عن خيمتك الأخرى .. الجديدة
آن أن تخرج من طوق الحصارْ

ـ آه .. يا نجمة أحزاني .. ولكن
ليت لي وجه من العاج .. أو المعدن كي يخفي نزيفي

ليت لي قلب من القش .. فأرميه الى النارِ
وليتْ
ليت لو يخرج لليل النهارْ
فارسا مؤتلق العين .. ووضاحاً
وليتْ
ليت لو تنهمر الشمس على وجعي .. كما تأتي اليكْ
غير أني ..

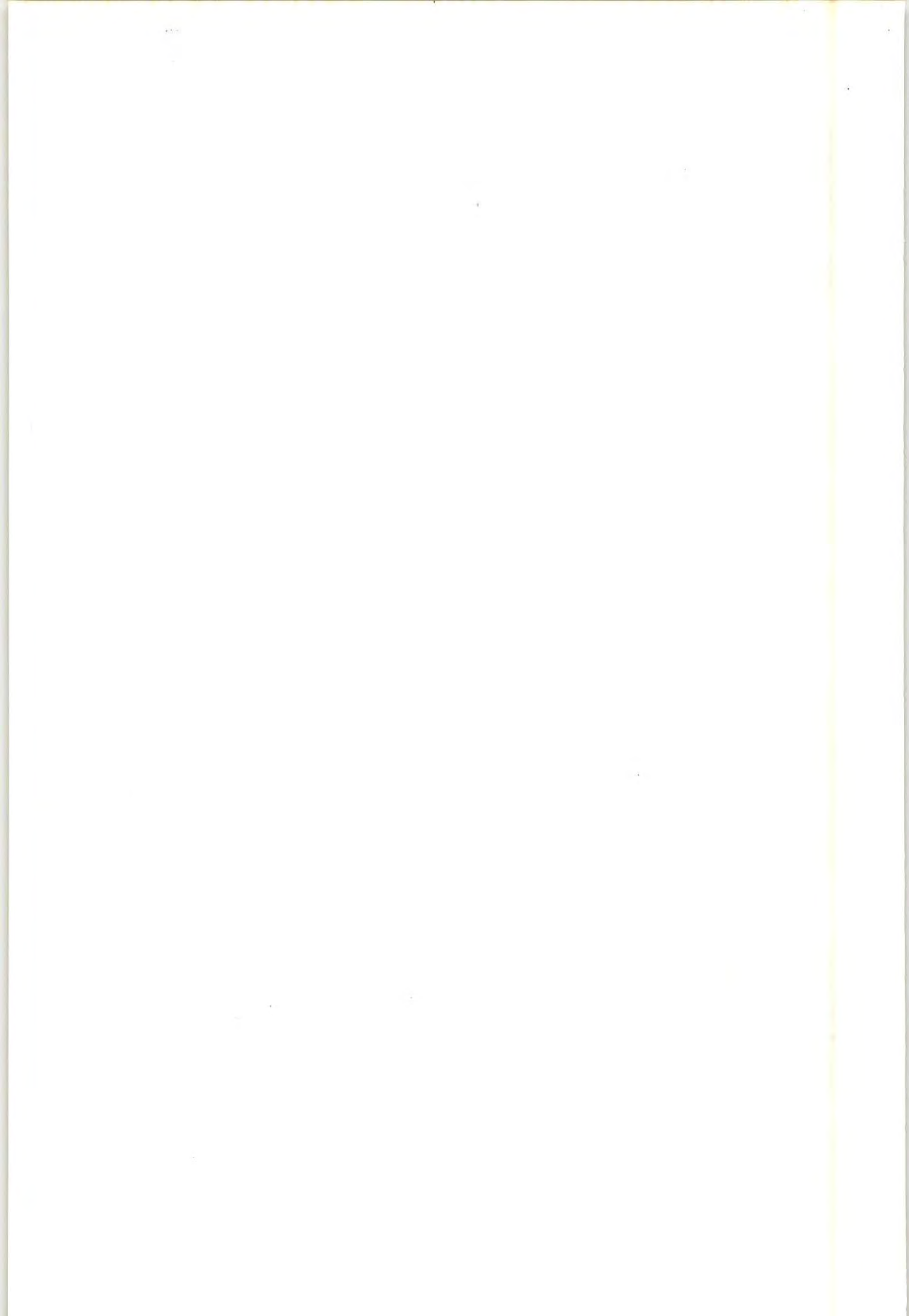
أنت لا تدرين في أي الينابيع تصبين ..
ومن أي الجراحات أغني ..
مدركا ما تطرح المأساة في حلقي .. وتخفيه .. وحقلي
مدركا ما خبأت بالامسِ
أو ألقت على جسدي .. وعمري ..
مدركا لون العباءاتِ
وأحزان المساءاتِ
وما طعم الحرائقْ

أنت لا تدرين عن ومضِ السكاكين على العنقِ
ولا تدرين ما ظل المشانقْ
آه .. لو تقرأني الرؤيا على بوابة الشعر .. وفي عمق المداخلْ
آه .. لو بورق ورد الصبحِ
أو تغدو الزنابقْ
زورقي الطافي .. على مدّ المناجلْ
آه لو تأتين في الحلم الى حلمي
وفي قبلتنا الأولى .. على شرياني الصاعد في جبال الوجدِ
لو تلقين بالضوء الذي في نجمة الأحزان .. في دربي
ولو أني ابادلك اللآلىء .. بالسنابلْ ..
ايه يا عبادة الشمس .. ويا شمسي .. ويا قدر المقاتلْ
لا تقولي انني ألقي بك اليوم الى الفوضى

وان قلت وداعاً
فعلى مد المراثي .. عانق البحر الشراعا
وأنا أمنحك الليلة من جرحي النياشين .. وأمضي
أرتدي من شجر العليق .. اكليلي
ومن صدأ الصحارى
أرتدي جلدي .. وأقتات مصيري ..

ـ أيها العابر في صمت الاذاعات .. تمهل
وترجل
المدى مستنقعٌ
يا أيها الطالع من ايقاع موتانا .. ومن جوع المخيمْ
المدى مستنقعٌ
يا أيها القادم في الآتي ..
المدى مستنقع .. مستنقع .. مستنقع .. مستنك ..

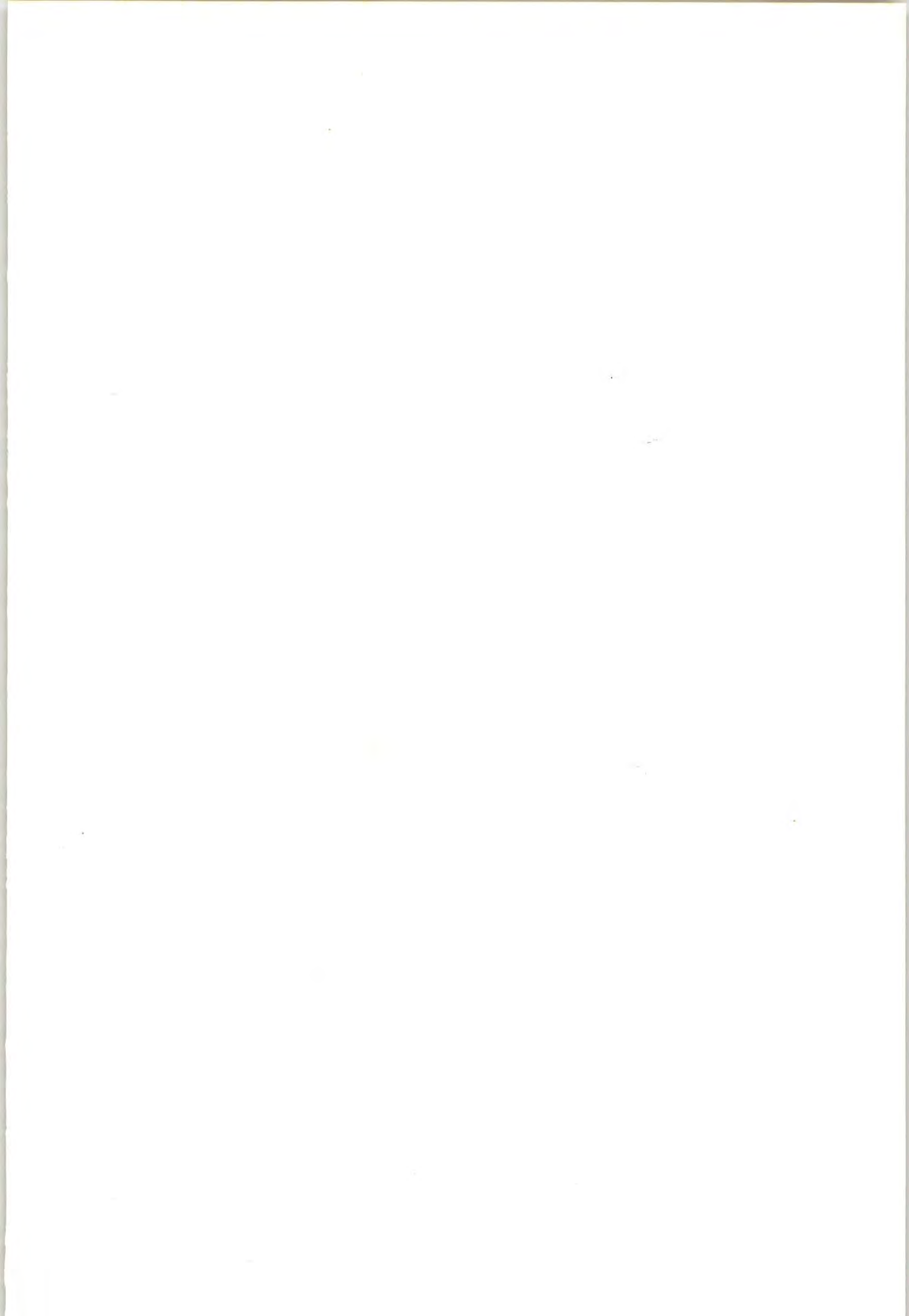
آيار 1985 




أسميك بحراً..
أسمي يدي الرمل

10

توقعات الولادة الثانية



10 توقعـــات الـولادة الثـــــانيـة



تلفت .. كانت عصافير قلبي ترف .. وتحملني نحو أعشاشها ..
ريش أجنحتي حجرٌ
والمساء يكثف عتمته في رغيفي ..
أحاول حلا لمسألة الطير .. والارضِ
حلا لمسألة الشهيد .. والوردِ
أخلط بينهما
وأحاول أن استبين العلاقة بين امتحان الرياضة .. والفيزياءِ ..
وبين امتحان الدماءْ
فأكسر شاهدتي .. بين ظل على شجر الانفجارِ
وظل على المائدة ..

تلفت
كانت رمال الحرائق تعبرني .. ورمال البحار تحاصرني
والشتاء يدير الى القلب كتفيه .. مبتعداً
يتأبط امرأةً
خلتها امرأتي
أو هي امرأتي

غير أن المسافة .. والتعب العسجديّ .. يحولان بين عيوني ..
وبين الشتاء الذي يأخذ الآن قلبي الى الصيف .. أو يأخذ الآن رأسي الى السيف ..
استرق السمع .. لا شيءَ
موت يوزع أبناءه في المكان ..
ورف العصافير .. مختنقٌ ..
بينما يستدير الزمانَ ..
ويبدأ طقس الرهانْ

يراودني شجر الزيزفون .. فأصغي لرائحة العطر، أقطف وهماً ..
وحزنا أسميه فاكهة .. ونهارا فسيحا كبلّورة الريحِ
اكتب بالزيت وجهين من ماء شائعة .. وسؤالا يدوّر أطرافه في الفراغْ

هذه امرأة تتوارى على مهلها خلف باب الرحيل المبكرِ
والانتحارْ ..
هذه امرأة تغزل الآن ثوبين من تعب قادمٍ ..
وتعبيء خوف القطيعة في خاتم كاذبٍ ..
وتحاذر أن تكسر الكأس .. فوق بلاط المخدةِ
تخشى مصارحتي بالحروب الصغيرة .. والرعبِ
وهي مبعثرة بين رغبتها في العشاء الأخيرِ
ورغبتها في الفرارْ
هذه امرأة من جزيرتها .. وهي لا تشبه الكونَ
أو تشبه اللون .. أو تشبه الأمنياتْ
هذه امرأة .. وحدها ..
وهي تختزن الحب ـ في نجمة القلب ـ والحربَ
وهي التي ليست امرأة كالنساءْ ..
ولكنها منحتني مدى العمر .. أجمل ما في النساءْ

ولا شك أن المحارات تنتظر البحرَ
والبحر ينبت لؤلؤة .. ويلوح للبرق

والبرق منشغل بدموع تلملم حباتها في غيوم الصدى
والغيوم تواكب حزن السماوات بالقرب من شجر السّدرِ
مرت طيور الأغاني .. وألقت اليّ سلاما حزينا .. وغابتْ
ـ ولا شك أني دخلت الى جسدي .. في المساءْ
وبعثرت أسئلتي في الهواءْ
ونمت قليلا من الليلِ
بين السكينة .. والاختباء
ولا شك أن التي اشعلت قمري .. مهرة شلعت نفسها من مدار الخيول
فأورق في عرفها النبض مرج شموس

تلفّت ..
كان الشتاء يجمع أوراقه ..
ويغادر في صخب .. ورداء من القصب العصيٌّ ..
تلفت
لا مهرة في البراري
ولا شجري يانعٌ
والصحارى .. تجر الصحارى .. الى خيمة في الصحارى ..
ولاشك أني نهضتُ
وأشعلت مدفأتي .. وكتبت رموزا تسير الى عالم خلف ظهري
ونازفة في نشيدي ..
وتحتمل الأسئلة

كان في غرفتي صوت أمرأة في اطارْ
وكان على دفتري صدأ .. وغبارْ
على زمن الظل أرجوحة من دماءٍ
وفي كتبي ساعة لا تدورْ ..
وبين الشبابيك .. والصمت .. أسقط أقنعتي .. واحد .. واحداً
وأحاورها ..
بين نبضين .. نبض المكان ونبض الزمانْ

فتنحل .. أو تتحول مثقلة بالنباتات .. والجمرِ
تنهض في لعبة غامضة
وتسحب مني عروقي .. الى لغة شاردة ..

هنا نحن ..
ـ ماذا تحبين ؟
ـ خمرا .. وزهرا .. وماءْ
ـ ماذا تريدين ؟
ـ بيتا .. وشمسا .. وحرية .. وهواءْ
ـ ماذا تقولين ؟
ـ اني أحبك ..
ـ سيانَ
فالحب .. والموت .. وجهان للتجربة
وان قلت: لا ..
قلت في الحب موت .. وفي الموت حبٌ
وما بيننا قنبلة ..
وما بيننا قصة أحرقت نفسها بين خوفين .. ثم استراحت على عرش أحزانها ..
وبكت ندما .. وتستكتب الآن فوق الجدارِ
الأزاميل .. بعض التفاصيل .. ثم تنام .. وقد هددها تعب القافلة ..
ترى ما الذي يتمزق في سقف جمجمتي ؟
وطن ؟
أم ترى هو نسغ الفراشة في عتمة الشرنقة ..
ترجل من الحزن .. ياسيدي الحزن واطلقَ سراح الدموع وربّتْ
على كتفي .. انني أرتدي كفني .. واعترف لى بأنك أنتَ
رصيدي الذي ظل قيد التداول في ساحة القلب .. والعمر ..
مذ علمتني القراءة مكتبة الرملِ .. مذ صادرتني الطحالب قبل بلوغي سر النحاسِ
وبوابة الماء .. مذ أرهقني ملاحقة الرعب للصمتِ ..
والزنبق البلديّ .. ومذ صار كتفي يوازي العتابا ..
وأسوار عكا .. وأغصان خروبة السهلِ ..

مذ ملأتني التقاويم بالصبر .. والمرّ .. والاغنياتْ ..
تعرفت من قبل وجهك في وجهة الشعر .. كانت قصيدتنا دائما من جريد النخيلِ
وأشرعة النهر .. كنا على طرفي قوسها توأما وأنينا يلون تفاحة كالبلادِ،
ويمنحها نكهة من دم .. وسباتْ
تباركت ياسيدي ..
مهرتي فرح .. فترفّق بها ..
واتئد قبل ملعبها ..
وتحوّل الى زمن خارج السنبلة
مهرتي غزل .. واشتعال البحيرات في الموسم البكر
قل مهرتي قبلة .. وصباحْ
فغادر مداها الى حالة الاختفاءْ
وغادر جدائلها .. أيها الحزنُ ..
اني احملك الآن عبء الاقامة في الروحِ ..
فاحمل بقاياي .. وارحل الى جزري .. وابتسم لي اذا جاءك الشعرُ
واكتب سلاما .. اليها
سلاما عليها ..
سلاما .. وحبا أعلقه تحت قلبي
وانتظر الجلجلة ...

ـ لماذا ... لماذا ؟
ـ لأني أرى الأمر مختلفا
ـ كيف ؟
ـ أساله .. فيجيبْ
ـ بماذا .. ؟
ـ بخافية لا يراها سوايْ ..
ولا تتجمل بالضوء .. أو بالتعازي
ولا تقبل الاسئلة
ـ أُحذّر من خائف يرتديك
ومن سحب لا تريك الطريق الى جوهر المرحلة ..

ـ أحاول أن اتبين خيط المسافة بين النخيل .. وبين الصفيح ..
فينشر بيني وبين الرسائل في أول العمر وقع الكتابات أضرحة ..
وسفوحا رمادية .. وخيولا تراوح حينا .. وحينا تغمس أعرافها في دمي ..
وتعود الى قريتي في ثياب الحدادْ.

أحبك .. لكنني ورق .. واغترابْ
أحبك .. لكنني متعب .. وعصيّ على الفرح الخلبيِّ
أحبك .. فاختصري وجع العمر في شجر البحرِ ..
واحتكمي للعلامات في الطرق الجبليةِ ..
واحتكمي للشواهد .. والآس .. والغبش المعدنيِّ
تصارح عينيك .. كيف .. لماذا ؟ يظل حزينا شذى البرتقالْ
وماذا تخبيء أقمشة العيدِ
ماذا يكون التوقع .. والاحتمالْ

بعيدين نبقى
قريبين نبقى
وينسحب الشفق البرتقالي فوق القباب الرتيبةِ.
يأخذنا في الشحوب النقي الى الليل .. يأخذنا في اتجاهينِ ..
يجمعنا بين .. بينْ
يبعثرنا مرة في الدخانِ
يرافقنا مرة في الجبال
وأخرى يعلقنا في مراثي مبكرة .. أو سماء حديدية .. وسؤالْ
أقايضك الان شبابة بغزالْ
واعطيك من ذهب القلب بارقة .. ورغيفا .. وكأسا من الخمرِ ..
زوّادة لطريق مقطعة بالسكاكينِ ..
فانتظري كي أودع منك يداً
أو قميصا وأمنحك الآن صمتي .. وصرة ذكرى .. وقبلة ..
أطليّ قبيل انشطار الخلايا : على الزمن المتوسط ، والغضب المتوسط
والجسد المتوسط بين الرحيل .. وبين الايابْ ..
أطليّ ..

فشباكنا مقلة لا تنام ..
وتلقي اليك بشال .. وأشرعة .. وهلال .. ورمانة تتفجر بين يديك فضاء ..
وسرب حمامْ ..

سأنتظر الآن أغنيتي في الجزيرة .. والوقت يشهد أني أجمعها حبة حبةً ..
وتغادرني حبة حبة .. ثم أطلبها لاهثا .. فتغيبُ
وأصرخ من صوتها .. أتداخل في الصخر، والموج، والسنديانْ
وأشعر أن الجزيرة فارغة .. فأخاف قليلا .. وأمشي قليلا أساورُ
أصدافها .. وادندن باسمك .. أرتعش الآن في الريح أشعل ناراً ..
وأبدأ من جذع زيتونة في المسيرِ .. ولكن درب الجزيرة يوصل للبحرِ ..
والبحر متصل بالنهايات .. بينهما الأزرق المترامي ..
وبينهما عتمة ورمادٌ .. ولا سفن في الموانىء ..
لا وجه للاتجاه الذي ابتغيه ولا صوت ينبىء بالوقت .. أو بالأماني ..

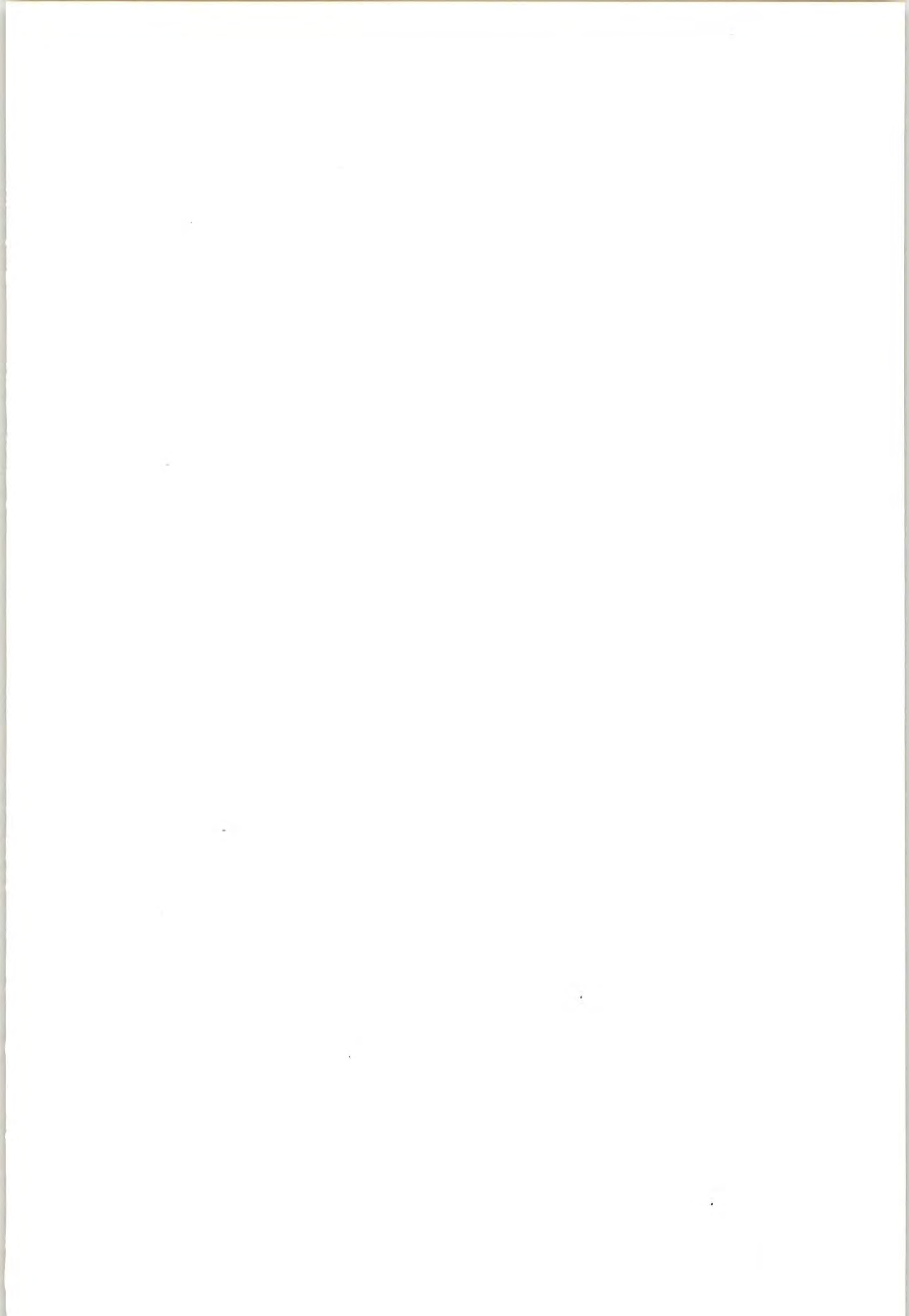
تلفت .. حولي تحترق المكتبات، وشاهدة العصر، والغابة الحجريةُ ..
كانت فلسطين ماثلة في السهاد المعتق .. بالدم .. والعشقِ ..
والعلم العربي ينظف ألوانه في الدموع .. فأدركت أنك مسرعةٌ
في التواري عن المشهد المتنامي على أفق يتمحور في بؤرة القلبِ،
منتشرا في الشرايين حتى النخاع الأخيرْ ..

أرى الآن أغنيتي في ثياب الشجر
أراها توزع أوراقها بالتساوي على البحر .. والنهر .. والسهلِ
نحو التلال .. وعند الجبالْ
وتبحث عني في ضوء منفاي .. لكنها لا تراني ..
هي الآن في القلب مني
ولكنني جسد في حجرْ
ولكنني جسد في حجرْ
ولكنني جسد في حجرْ


أسميك بحراً..
أسمي يدي الرمل



مرثاة
على زجاج النافذة



11 مرثـــاة عـــلى زجـاج النـافـذة



وقف الفتى الكهل الحزينْ
مطر وقبلتها بنفسجْ
مطرٌ .. وينفتح الفضاء .. على الفضاء، وتبتدي طرق معقدةٌ،
وينتحر الهواء قبيل أوردتي فأهوى بين أطراف الأصابعِ،
لعنة حجرية، وسدى .. وطينْ
ليل .. ورائحة .. ولون بارد .. وغرابة والشمعدان الأخضرُ ..
الموتى يردون الحجارة، والتراب .. ويدخلون عظامه يتجولون من النخاع الى ملامحِ
صفحة الآجرّ والسفن التي ترسو على قاع المحيطْ

وقف الفتى
وأدار بين يديه صورته .. وضاعْ
وقف الفتى
نقر على جلد الهواء ..
وأدار بين يديه غربته .. وقبّلها .. وحدّق في المياهِ
وفي المرايا ..
وانحنى في الذكريات .. وعاد ينتظر الهدايا ..
فاستراح على سرير الطمي.

فكّر أنه جسد من الزيتون والليلك .. وفكّر أنه نائمْ
وفكّر أنه للبحر متجهٌ ..
وفكر أنه ضوء يغازل كنزه .. ويطيرْ
فكّر أنه عِرقٌ من الحجر الكريمِ
وظن يدا مثابرة ستلقفهُ
وفكّر أنه يتعجل الأحداث .. فانتظر المسافةَ، وانتحي ركناً على السيف المؤجّلِ ..
فاعتراه الخوف من زمن يطولُ .. فلامس النار التي في صلب صخرته وغابْ

وقف الفتى ..
لا بيته .. بيت .. ولا من قطّعوا قدميه أعداء ..
فشدّ أعمدة الى ساقيه .. واعتزم الرحيل
فشدّ قامته الشراع، يشدّه، الحلم المركب مرة، ويرد عن عينيه مرحلة من الفحم المعدّنِ
ينتمي لمرارة الشلل المقيم، يردّ عن شفتيه وردا من زجاج جارحٍ، .
ويصدّ جائحة من الرَّقد المعاصر والقديم .. ويرتدي جسدا من الفولاذِ،
والشعر الجميلْ ..
ومشى الفتى الكهل المشجّر بالحنينْ

وقف الفتى .. تجتازه الساعات، والسّحب الثقيلة، والغبار، وضجة المدن الكبيرةُ
والسنونو .. والعواصف، والدخان، وفيض أسئلة .. وموسيقى ..
وموت أبيض القسمات .. شمع مطفأ .. وجرائد الصبح السقيمة .. محمل متهتكٌ ..
وفحيح أفعى، مشجب .. ودمى .. وأشجار من الشفق النبيلْ ..

وقف الفتى ..
يصحو على شفتيه، تكوين من الليمون، والدفلى وتفاح .. وخمر من جرار الغيبِ ..
يصحو طائر الأصوات، والأصوات، صورة قرية حبلى، وصورة برهة الميلادِ
ألواح من الخشب المبلل، والمدى .. يصحو على جبل، وحب راعش كجديلةِ
العذراء، شمس مرة، شوق .. وتصحو رغبة الابحار للزمن البعيدِ ..
وللنجوم ..

وقف الفتى .. خلع المكان وصاغ من قدميه اجنحة وغنّى
فليكن زهري المحنّى
وليكن صوتي المغنّى .. للجميلة ماستين وللجميلة قبلتين .. وللجميلة نخلة وحمامتينْ
أو فليكن تعب المنافي والدماء .. وجوع روحي والرمال .. وكسرة الخبز العتيقة والعتابا
والمناديل الملوعة القلوب وزهرة المجد المحاصر .. والكتابة .. والرسومُ ..
وصدر مدفأتي، وكأسي .. والقميص،
وضمة الأقلام .. والورق القصي لها وأروقة الحريرْ

وقف الفتى ..
الوقت فيروز .. وفضة حزنة سيف وفاكهة .. وطير صامت .. ويد .. وأسلاكٌ
ونهر سارح .. .. وعلامة ما بين حاصرتين من دمع وليلْ
ضحكت نساء الريح في وجل .. على رجل يقايض رأسه بالوعد،
وانتحرت على الشباكِ
امرأة تقاتل قلبها بيدين من سلّ .. ومن لون كسمّ غامض ينسلّ في الأعصابْ ..

وقف الفتى
لا شيء في الكتب الجديدة غير صورتنا القديمة
وجهين من غسق .. وغارْ
وجهين في الصحراء .. والدم .. والغبارْ
لا شيء ينبىء أننا نأتي .. ونخترق الحصارْ
لا شيء .. يا حنّونتي ..
جسدي يكفن بالمحارِ
وبالعصافير الغريبة ..
جسدي يوزع في المرافىء وجبة للوحش في المدن الطريدة ..
جسدي يكابتني ويعزف لي نشيده
يا أيها الجسد المعمّد بالحوارْ ..
أبكيك يا جسدي وأرقد في جوارك، فانتبه اني اطالبك القيامة قبل موعدها ..
واحترف السكينة ..
فاغفر لصاحبك الخطيئة والخطايا ..

واقترب مني .. غفرت لك العذابْ
وغفرت أن دمي يحاربني .. و ينتحل الضغينة

وقف الفتى ..
وأزاح عن طرق الثريا .. الماء .. والزيت الملبد .. والعناكب .. والسهادْ
ومضى الى شأن وفكر برهة ..
هل يرتدي صدر المغامرة الخطيرة .. أم يناور في الدّوار، وينحني بعضا من الزمنِ
الردىء .. رأى بأن مصيره في الحالتين دم .. ومشنقة .. فأدرك بين منعطف البيادر
والجماجم، والحناجر أنه لا بدّ من ضوء يقيس به الخطى، فتناول الجسد المسجّى
في ظلال البرتقالْ
وأضاء في غبش العيون .. وفي البلاد وأعد من قلبين مكحلتين للعشاقِ
شدّ ربابة من مشهد الأسماءْ ..

شرد الفتى .. فاحيط بالكلماتِ ..
أفلت لحظة وهوى الى زمن الحجارة والظلام، وتناوبته معاصر اللحم الطريِّ
وأمه انقلبت الى فلك يبعثر ذكريات الطفل، يطحنها كحلوى العيد في شبق،
فيصرخ صوته في القاع ..
يا قلبي الذي يغتاله الوطواطْ
هل مرت به ندّابة الأسفار .. أم عصفت به ريح بلون الليل ..
والأخبار فامتد الفتى كالموتْ ..
يا أم الفتى لا تندهي الغياب .. أو لا تندهي أحدا،
فتحت ملاءتي خيّالة ويعلّق الاطفال
آثاري على سقف .. وفوق جدارْ

وقف الفتى
نجمان يغتسلان بالمطر الشجي، وبالأنين
نجمان من تعب القصيدةِ.
ينسجان عباءة من ياسمين شاحب، وندى .. وظل بحيرة خضراءَ ..
يحترفان صمتا مزمنا ومسافة لا تنتهي، ويلملمان عظام أغنية من الوديان ..

والصحراء والقهوة
نجمان يختلجان في الرحلة ..
نجمان جوّابان من منفى الى منفى
نجمان بين القوس .. والطلقات ..
بين الزنبق الدمويّ .. والفسفور .. والراياتْ
نجمان من زغب الفراشِ
نجمان يحترقان في قبلة ..

وقف الفتى
لا تسأليه عن اتجاه الريح .. والغرباء والقتلى
لا تسأليه عن احتضار العشب .. والنسمة
لا تسأليه عن المعارك والصدى
أو تسأليه عن الرمادْ
جرس يتابع ظلّه .. فيرف في وهن ويسقط في الهواءْ
غصنا من الزبد المعرّى .. يستطيل على الشواطىء والجبالِ
ويرتدي صوت البحار .. مغازلا قمم المساءِ
ويشتري ذهبا بوهمٍ
يشترى مدنا بسهمٍ
وهو يزرع في البراري جثة .. ومحارة حبلى برغوتها .. ويحتلّ القبابْ
الموت أصفر .. والطفولة .. والوباء
وخريطتي خطر .. وشارعها يضيق
بين الطفولة ..
والطريق
والموت مزولة تؤرخ صفحة لحبيبتي عني .. فأبكيها .. وانتحرُ ..
وأذكر أنني لوحت قبل رحيلها خلف المراكب والضبابْ
ردّت يدي ..
ففردت أوردتي على سقف الهباءْ

وقف الفتى ..

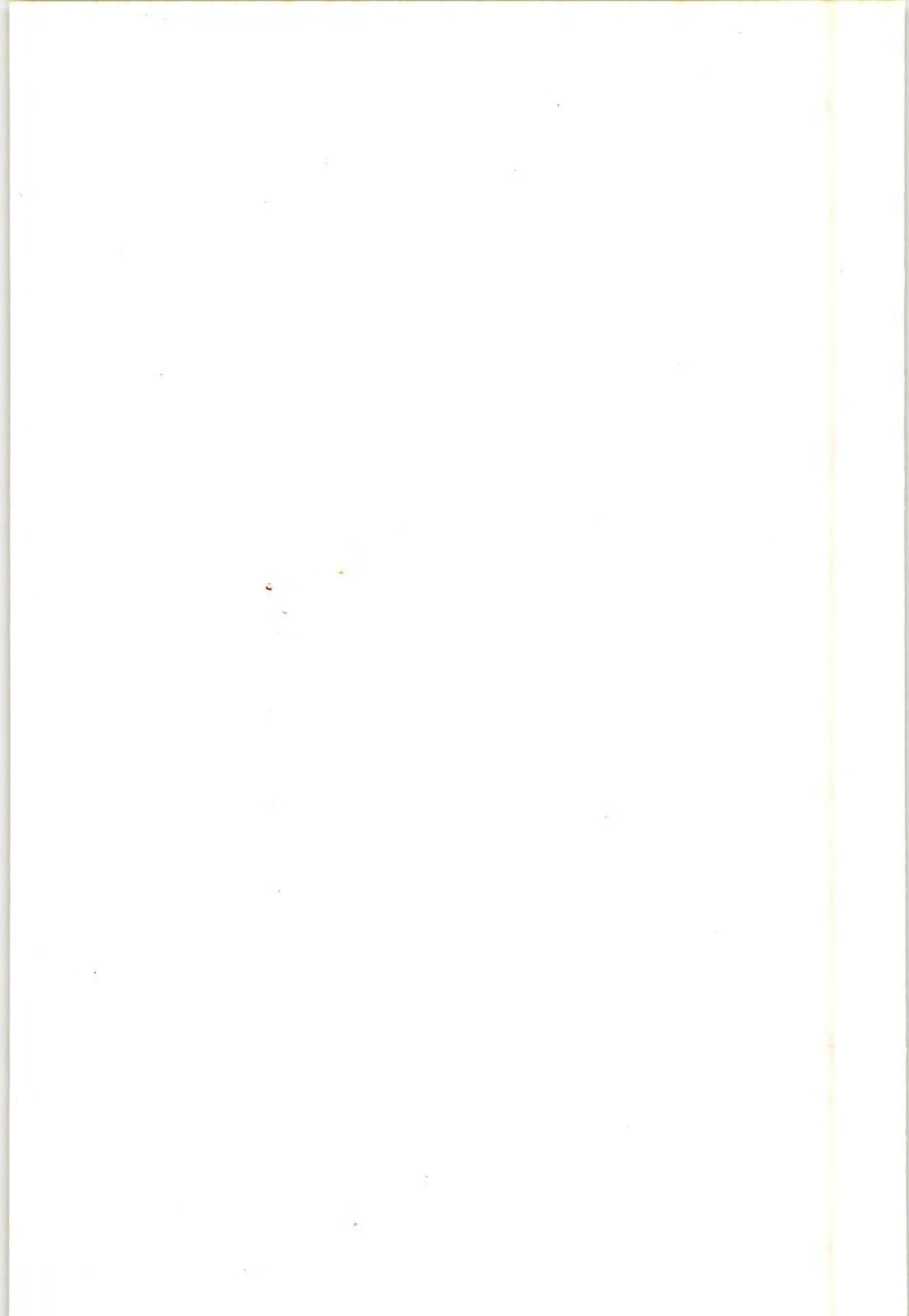
مرح من الخرز الملّون .. والمشاعل في طفولته .. وحلوى ..
مرج من التبغ المذهب .. والحقولْ
خيل .. وأودية .. ودورْ

وقف الفتى ..
لا شيء يخترق الظلام سوى القبورْ
لا شيء .. وانكفأ الفتى الكهل المتاخم للسماء .. وللحقولْ
قمر على كتفيه .. محزون ومثقلْ
قمر عصي الدمع .. مبتسم .. وحنظلْ

صرخ الفتى ..
يا أيها العطش المؤلف من عيون حبيبتي
وطفولة الصحراء .. والأسرى .. ومن تنك المخيمْ
قمري يمرغ ضوءه بدمي .. ويمضي

وقف الفتى الكهل المكلل .. واتكأْ ..
ثلج ونافذة على شمس بعيدة ..
ورصاصة في الفجر .. أغنية .. وصمت ..



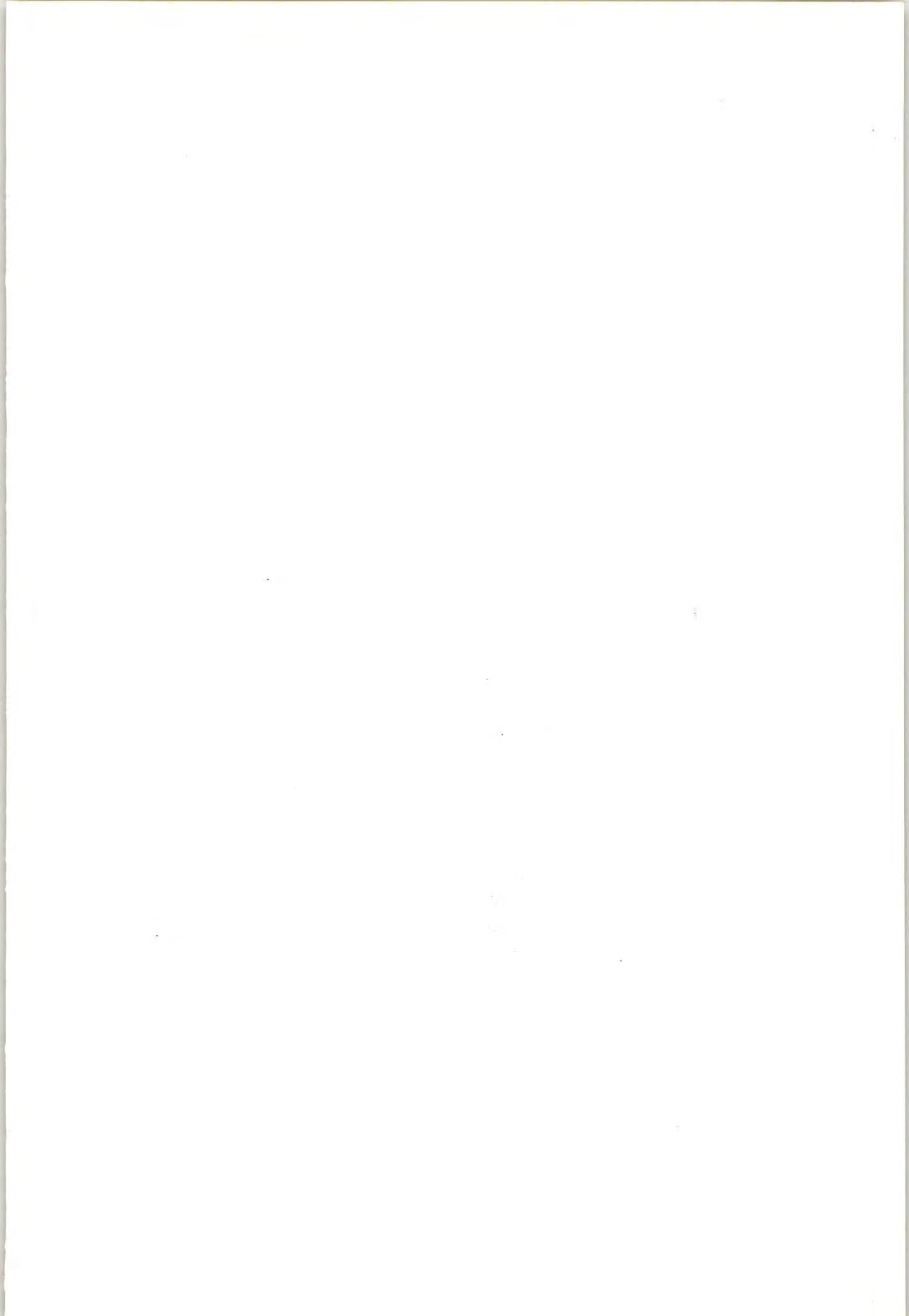



أسميك بحراً..
أسمي يدي الرمل

الى فجر ـ طفلتي
المولودة عام 1965 ـ
في هجرتها الأخيرة

موسم الصعود إلى الفجر

12



الى فجر ـ طفلتي المولودة
عام 1965 ـ في هجرتها الأخيرة

12 موســـم الصعـود إلى الفـــجـر



لفجر التي تغتربْ ..
وفجر التي تقترب ..
وفجر التي سوف تأتي الى دمها .. من دمي ..
أو لفجر التي بعثرتها الشظايا .. كما بعثرتني ..
وفجر التي لملمتها البقايا .. وما لملمتني ..
وفجر التي تستحيل طيورا من البرق عبر الشرايينِ
من برهة القتل .. حتى انفجار الحكايا ..
ـ يا يمّة .. ويا يابا .. يا يمة .. ويا يابْ ...

هنا شجر للكتابة
ورمانة للعتابا ..
وجيش من الحزن .. والشمس يعبر قوس الربابة
ويعبرني صارخا في البراري البعيدةِ
ـ ... .. يمّة .. ويا يابا .. يا يمّة .. ويا يابْ

أغني لفجر التي تبتعدْ ..
وأرسم أسئلتي .. وأنادي على زعتري الجبليِّ
وطيريّ العصيّ ..

وأكتب في دفتر القلب .. وجه صفدْ ..
وأجدل من شوق أمي .. وشوقي اليها حبالا
وأبني جبالا .. وغيماً ..
وأمشي على الماء .. والجمر .. أمشي ..
وأسقي ظماء العصافيرِ
أسألها : أين عصفورتي
ما الذي سوف يبقى سوى دمها .. واصلت هجرةً
أوجفت .. ما الذي يبقى لنا ..
أوغلت في السدى .. أو سرت في الورقْ ؟
يا يمّة ويا بابا .. يا يمة .. ويا يابْ ..

وبالرغم من صدأ الورد .. والحنجرة
لفجر .. الغناءْ
لفجر التي تخرج الآن من دفتر مدرسيٍّ
لتدخل في البحر .. والشعرِ
تلك التي تأخذ الآن أشياءها .. وتعود مساءً ..
وتشرب قهوتها في الطريقْ
وتسرع بين الثياب .. وبين الحريقْ
وتلقي الينا مواويلها ..
ثم تشرع قامتها في المرافىء .. من مرفأ في الوقائع .. أو مرفأ في الذرائعِ
حتى ارتداد المدافع .. تشرع من أصبعها نشيد اليتامى ..
وتعلن .. لا .. ثم تدخل في فورة السنبلة ..
وتوغل في الوقت .. والوقت يصعد في النار .. والدارِ
يصعد من جنبات الغبارِ
ويكتب : ان فلسطين تجتازَ محنتها في الركامْ
وتصعد من موج أطفالها ..
وهي تحمل أثقالها ..
فتزلزل فوق السنين .. وتعصف بالسجن .. والقمع والجلجلة ..
يا يمّة وهي ويا يابا .. يا يمة .. ويا يابْ ..

ـ تراب .. ودمْ ..
ثيابي .. وبيني .. وبينك ما سوف يأتي ..
وما سوف يمضي ..
وما سوف يبقى عصيا على الموتِ
بيني .. وبينك .. أنتِ
وحقل من الزنبق العربي .. الذي سوف يطالعه .. الهمس والقنبلة ..
ـ هي يا يمّة .. ويا يابا .. ويا يمة .. ويا يابْ ..

وسوف يظل الغناءْ
لفجر التي حملتني على جرحها .. وانحنت بين جرحي .. وبيني
أغني .. أنا المتعب المترامي الغريب .. يدا في نخيل من الوهمِ
قلبا يطير الى الغيمِ ..
عينين مفتوحتين على شفق الحزن .. مغلقتين على الحلمِ ..
والوقت ليل .. وتبغ .. ونايْ ..
ولا أحد في المرايا .. سوايْ
ولكنني مبصر بين وجهي .. والبحر .. ان الدماء تقومُ
وتنشر في الأفق خارطة .. ودروبا .. وتنشر مليون قافلةً
ستحارب من قبة القدس .. للنيل .. أبصر هذا
وأعلن من ساحة في المخيم .. أن الذي كان .. كانَ
وأن الذي سوف يأتي .. يمدّ ذراعين بين المكان
وبين الزمان .. ويأتي على معبر من دمايْ ..
وأن الذي بين كفيّ .. ومنفاي .. سرّ .. وفجرْ ..
ودورية في الحصارِ ..
وما راوحت في الدّوارِ
ـ يا يمّة .. وهي ويا بابا .. يا يمة .. ويا ياب ..

ـ هي الريح لوّاحة با لمناديلِ
فواحة بالمواويلِ
أسئلة في الشروق الجميلِ

ومكتبة للقراءات في الرمل .. بعد الرحيلِ
وتأخذ مني أصابعها .. وتمرّ بشعر الجميلة .. تختصر الشوقَ
في برهة كالوعول .. فينفتح الأفق عن رقصة وخيولٍ ..
وينفتح الوجد عنها كرمانة في انفجار الذهولْ
ـ يا يمّة .. وهي ويا يابا .. ويا يمة .. ويا ياب

لها الآن .. أنهض
أصعد ..
أشرب نخباً سخياً ..
وأمتدّ بين الحنين البكائي .. والورد .. والياسمين المغنّي
لفجر التي تأخذ الآن سمت الفراشات .. والشوقَ
تلك التي تنهض الآن بين كان .. والمسألة ..
ـ يا يمّة .. وهي ويا يابا .. يا يمة .. ويا يابْ

هو النهر يسترق السمع من ضفتيهِ
ويمضي الى راحتيها .. وئيداً
ويمضي الى حيث موئله في أريحا .. أريحا ..
سنصمد في الزمن الصعبِ ..
نستقبل الشعر .. والنبض .. بالنبضِ
والعرق المتحجر .. بالدمِ
نستقبل الأرض بالسير فيها .. اليها ..
وأستقبل الآن كأس النبيذ المعلق بين الأصابع .. والشفتينِ
بجرحي الغنائي .. أشرب نخب الملايين في آخر الليلِ
من شاطىء الأطلسي .. وحتى أريحا .. أريحا .. أريحا
ـ يا يمّة .. ويا يابا .. ويا يمة .. ويا يابْ ...

لها الآن نصعد من نخلة في الأقاصي
ومن صلية في الأماسي ..
ومن فرحة في الصباح الرصاصيِّ

من جرس في الوريد النحاسيِّ
أو من سكون المراسي ..
ـ يا يمّة .. ويا يابا .. يا يمّة .. ويا يابْ

لفجر الصعود العصىّ .. النبيلْ
اجنحة للربابة .. لي بيرق .. ودليل .. ولي ما لديها من الخمر ..
والدفء في الليلة الباردة .. ولي غابة من نخيلْ
وأغمض عينّي .. أحلم أن المكان أليفٌ
وأني أنام طويلاً ..
وأصحو على قهوة مرّة في صباح قديمٍ ..
وأقطف من شجر العمر ورداً ..
وأرشقه في المسافة بين الضفيرة .. والصدرِ
بين المدينة .. والبحرِ ..
بين السكاكين .. والنحّرِ ..
أضحك من كل قلبي ..
فتضحك .. ثم أبادلها قبلة .. بسلامْ
ـ يا يمّة .. ويا يابا .. ويا يمة .. ويا يابْ ..

ويا فجر .. ياصدر أمي الصغيرة
يا غربة الماء بين الندى .. والجزيرة .. بين الحريق وبين البطولةِ ..
يا فجر .. اني أناديك .. فابتعدي بين قوسين .. واقتربي بين قوسينِ ..
كوني كما أنت أو لا تكوني كما هم يريدونَ ..
وابتعدي في الأصيل لكي تهجم الشمسُ ..
أو يشرق الدمُ .. كوني .. نكون احتمالاً .. فيقترب الموج من شاطىء لا يسافر خلفَ
الحدود .. ولا يستريح الى الموتِ .. أو يستجيب الى الخوفِ .. يا فجر هاتي
ذراعيك .. وارخي المجاذيف ينفتح الآن بين المرارات نهر ـ ليغرق كل الحقائب ـ تنفتح
الآن بوابة في الجبال .. لتعلن أن الطريق الى القدس مفتوحة بالقتالْ ..
ـ يا يمّة .. ويا يابا .. يا يمّة ويا يابْ ..

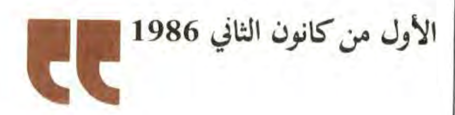
وتنهمر الآن أسئلة كالتي تعترينا
هو الآن ينحت صورته في الجدارِ
ويمضي الى صورة في المدارْ
ومنتصف الليل .. وقت المسير .. ووقت الكتابة ..
منتصف الليل بين المدى .. وخريف الكهولة ..
ها انه الآن يصعد نحوكِ
يصعد في غابة .. ساترا جرحه بيديهِ
فيمتد .. يمتد .. من أول الماء .. حتى نهاية منفاهُ
يدخل شمس الظهيرةِ ..
يصعد .. يصعد .. للفجرِ
يصرخ في جسد الصمت .. لا ينحني
ـ آه من يرسل الآن صحوي اليّ .. ويمطرني بالدوالي ..
ويأخذ قلبي اليها .. ويكتب لي دمعة .. ونشيدا يخيم في الروحِ ..
من يجرح الآن صدري .. وينشر لي في ثيابي سماء من العشقِ ..
من يسحب الآن مني حدائي .. الى قرية في الاعالي .. ومن يقتفي أثري إذ أهاجرُ
من دورة النفيّ .. والقهر .. من ذا الذي يستجيب لخارطة من دمائي ..
ومن يرفع الآن كفا ويومىء للقادمين ورائي ؟
لينهض اذا .. أو لينهض اذاً ..
في الصحارى التي تتآكل بين العويل .. وبين التنائي ..
لينهض .. لينهض ..
فهذا هو الوقت يرسم أسواره حولنا .. ثم يلقي بنا في محيط العلاقات بين البلاد التي توغلُ
الآن في الخوف .. أو بين تلك التي ترجع الآن للمكتبات .. وتلك التي تستعيد
ملامحنا في مخاض المفاتيح بين الصدى .. والردى ..
والرمال التي أطلعت زهرها في تراويد امرأة من دم .. وطيور من الحجر العربيِّ
هو الصوت يأتي .. ولا يقبل الاعتقال أو الموت .. يأتي
فيا أيها الصوت .. يا أيها الصوت .. اذهب قريبا واذهب بعيدا
سنذهب حتى فلسطين .. اذهب .. وخذني ..
أنا الآن قوس .. وسهم .. ورمانة .. وقصائد مفعمة ونشيج من البرتقال ..
ـ يا يمّة .. ويا يابا .. يا يمّة .. ويا يابْ ..

لسيدة الحزن خذني ..
وخذني لفجري ..
أنا الفرح المتوقع بين الرماد .. وبين الحدادِ
وبين الخطوط التي تبدأ الآن من برهة في الجمال الى برهة الاغتيالْ ..
هنا يسقط الليل فوق المخيم قبل الأوانِ
ويدخل في النوم طيّر حزين .. وطفل جميلٌ ..
ويعبر أيلول بين الأزقةِ
والطقس بردٌ ..
ويغلق باب .. ونافذةٌ .. لا يردان عن طفلة طلقةً
لا .. ولا بلطةً ..
اذ هي الآن تحلم بين الغرابة .. والدفء ..
أن الطفولة تحمل لي جمرة .. ورغيفاً
وتحمل لي سلاحا .. وزهوراً ..
وتحمل لي ظل دالية .. وسلالاً
وصيفاً .. وبحراً ..
وفجرا ..
وغابة أيد
فأذكر أني تدفأت بالنار يوما .. ويوما بكأس نبيذٍ ..
ويوما بشال من الصوف ـ برد ـ وأدخل في رعشة القلب .. أشعر بالدفء
بعضا من الوقت أكتب شعراً .. وأشعل سيجارتي .. وأنامْ ..
هنا ليس لي حائط .. أو طريقٌ ..
ولا في يديّ سوى الوعدِ ..
اني المقيم .. واني المغادر ما بين رقّة جفن .. وأخرى واني المحاربُ ..
لكنني لست أدري .. اذا كان منفاي يقبلني ..
أو يردّ دمي .. لست أدري ..
سوى أنني سوف أوغل في طرق أوصدوها علينا ..
وأعلن أن الطريق الى قريتي العسلية ليست تضيع واني أحارب من آخر الضوءِ
حتى مشارفها .. ثم اني احارب من زهرة في الجليل .. الى صخرة في الخليلِ
الى مدن في أقاصي السجون .. ومن وطني المشرقيِّ

الى وطني المغربيّْ ...
وعن برهة سوف تأتي محملة بالرنين .. وفوارة بالحنينِ
أغني لك الآن يا فجرُ ..
ان تسأليني .. أجيبكِ
أو تقبليني .. أصلّي
وأرفع عينيّ نحوكِ ..
أسألك الآن أن تنشريني على رئتيك .. وحيدا مجيدا .. كبيرق أمي الحزينْ ..
أنا مجدك الجبليّ المحارب حتى فلسطينَ ..
اني اسميك .. فارسةً
فانهضي مرة حيث أنتِ ..
وأخرى اليكِ
وكوني كما أنت في الصبر .. كوني .. سننهضُ ..
ـ يمّة .. ويا يابا .. يا يمة .. ويا يابْ

هو الآن يملأ نصف الثياب .. ونصف العذابِ ..
ويكتب ما سوف يأتي .. وما في التراب
ـ يا يمّة .. ويا يابا .. يا يمة .. ويا يابْ ...

وها انني استميحك عذرا بأن تقرأي ورقي البابليّ وقلبي .. وشيبي ..
وأن ترتدي فوق كتفيك أوسمة من جبالٍ
وأن ترفعي في يديك المفاتيح
أن تومئي للرجال .. الرجالْ ..
ـ يا يمّة ويا يابا .. يا يمّة .. ويا يابْ


الأول من كانون الثاني 1986

مطابع شركة انترجراف ـ إحدى مؤسسات الشركة العربية الليبية للاستثمارات الخارجية
INTERGRAF S.p.A. - ROMA - Tel. 91.06.010



منشورات
المجلس القومي للثقافة العربية

سعر النسخة 25 درهما أو ما يعادلها